



# الشخصية

٤١

- ❖ محمد (ص) رسول السياسة
- ❖ الرسول القاضي
- ❖ الرسول الفاتح
- ❖ الرسول المعلم
- ❖ الرسول اليتيم
- ❖ الرسول الأمي صلى الله عليه وسلم
- ❖ الرسول الوالد
- ❖ الرسول في الأسرة
- ❖ مع البائسين والمنكوبين
- ❖ مع الأعداء الأعداء
- ❖ شمائل النبي عليه الصلاة والسلام

## محمد صلى الله عليه وسلم رسول السياسة

إسماعيل الفيضي كائنا

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

مفهوم السياسة:

كلمة السياسة مصدر للفعل (ساس) ومضارعه (يسوس)، واستخدام (لسانس) الخيل أي من يرعى شؤونها، فالمعنى اللغوي لكلمة السياسة هو رعاية الشؤون، وكلمة (سياسة) كغيرها من الكلمات ذات الدلالة العلمية والفنية المستعملة عند العلماء والكتاب والمفكرين وغيرهم، فهي تحمل معنيين اثنين: معنى لغوياً، ومعنى اصطلاحياً.

المعنى اللغوي: ان الكلمة سياسة تعني في المدلول اللغوي ما يأتي.

السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه. وتعني أيضاً: الترويض والتدريب على وضع معين، والتربية والتوجيه، واصدار الأمر والعناية والرعاية، والاشراف على شيء، والأهتمام به والقيام عليه.

المعنى الاصطلاحى: ومفهوم السياسة كغيره من المفاهيم الفكرية يختلف حسب العقيدة والمبدأ والنظرية التي يستفاد منها، أو يعتمد عليها، لذا فقد عرّفت السياسة بتعاريف عديدة، وفهمت بصور واشكال مختلفة.

ويهمّنا في هذا البحث ان نعرّف (السياسة) تعريفاً اسلامياً مستفاداً من النظرية الإسلامية، إلا أنه من المفيد ان نتناول بعض التعاريف، وصور الفهم غير الإسلامية للسياسة. فقد عرّفت بتعاريف عديدة من قبل بعض الكتاب السياسيين، المختلفين في مذاهبهم، ونظرياتهم السياسية، لنعرف الفارق بين مفهوم السياسة في الإسلام، ومفهومها في المذاهب غير الإسلامية.

<sup>١</sup>. محاضر، كلية السنية العربية، تشينامكلور.

فقد عرّفها سقراط الفيلسوف اليوناني بأنها: "فن الحكم، والسياسي هو الذي يعرف فن الحكم." وعرّفها أفلاطون بأنها: "فن تربية الأفراد في حياة جماعية مشتركة، وهي عناية بشؤون الجماعة، أو فن حكم الافراد برضاهم، والسياسي هو الذي يعرف هذا الفن." وعرّفها ميكافيلي بأنها: "فن الابقاء على السلطة، وتوحيدها في قبضة الحكام،

بصرف النظر عن الوسيلة التي تحقق ذلك." ويرى دزرائيلي: "إنّ السياسة هي فنّ حكم البشر عن طريق خداعهم." وهكذا نلاحظ الفوارق في الفهم والتعريف، وتحديد مفهوم السياسة وهويتها بين الكتاب والمفكرين والفلاسفة غير الإسلاميين، متأثرين بفلسفتهم العامّة، وفهمهم للحياة والمجتمع والأخلاق، وحركة التاريخ، وباستقراءهم لمجالات النشاط السياسي، وتحديدهم لها في ظروف الممارسات المنحرفة، أو القاصرة للسياسة، فانتزعوا من هذين المصدرين فهمهم للسياسة، فقد رأينا أنّ بعض الكتاب السياسيين يرى السياسة بأنّها: (فن الحكم)، ويراها فريق آخر بأنّها: فن الصراع من أجل السلطة والإبقاء عليها

واستخدم الإسلام هذا اللفظ بمعناه مضيفاً إليه ضوابط الرعاية ومجالها، والأساس الذي تستند عليه، فأصبح المعنى الشرعي لكلمة (السياسة)، رعاية شؤون الأمة داخلياً وخارجياً بحسب أحكام الإسلام، وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى في حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (لقد كان من قبلكم تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، إلا أنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول فإن الله سائلهم عما استرعاهم ... أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه.

التجليات السياسية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم:

### أولاً: في العهد المكي

1 تميز العهد المكي بمراحل ثلاث مرت بها دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت أولها مرحلة الدعوة السرية، حيث أنشأ فيها صلى الله عليه وسلم كتلة تألفت من الصحابة الكرام، رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم شؤونها على خير ما يرضى مسؤول شؤون رعيته، فقد ثقّفهم بالعقيدة الجديدة، وكوّن شخصياتهم تكويناً خاصاً أعدهم عن طريقها لخوض غمار المرحلة التالية.

## الشخصية

2 المرحلة الثانية كانت المرحلة الجهرية التي تمثلت بالصراع الفكري والكفاح السياسي، حيث اصطدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مجتمع مكة، اصطدم بعقائده يكيل لها الضربات، واصطدم بقيادة الكفر في مكة، (تبت يدا أبي لهب وتب..)، (فليدع نادية سندع الزبانية..)، وقال صلى الله عليه وسلم لأمية بن خلف عندما سأله :

أيحيي ربك هذه العظام؟ فأجابه بقوله صلى الله عليه وسلم: "نعم، ويدخلك جهنم"، وتعرض للعلاقات الموجودة في مجتمع مكة حيث كانت قائمة على عقيدة الكفر، فانتقد وأد البنات وذمه، ثم تحمل صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام أشد الأذى في سبيل ذلك، وكل ذلك ليجعل عقيدة الإسلام بعقائده ومعالجاته تحل محل الكفر بعقائده ومعالجاته وبقياداته، صلى عليك وسلم يا سيدي يا رسول الله.

ثم جاءت المرحلة المكية الثالثة، وهي مرحلة الاتصال بالقبائل، أو مرحلة طلب النصرة، ليوجد للإسلام قوة تحميه وتحمله. وتوجت هذه المراحل الثلاث بالحدث السياسي الأكبر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ألا إنه حدث الهجرة الذي كان إيذاناً بولادة الدولة الإسلامية الأولى، أول كيان سياسي يقوم على العقيدة الإسلامية يبين للناس نمطاً جديداً من رعاية الشؤون لم تعهده البشرية من قبل.

## ثانياً: في العهد المدني

ظهرت التجليات السياسية في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعماله السياسية الكثيرة، حيث إنه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بدأ بإرساء قواعد أول دولة سياسية قائمة على العقيدة الإسلامية، فبنى المسجد، وجعله مقراً لرئيس الدولة، فيه يعقد مجلس الحكم، ومجلس القضاء، ومجلس الشورى، ومجلس إدارة شؤون الدولة، ومجلس العلم والتعليم، فضلاً عن وظيفته الأساسية التي هي الصلاة والاعتكاف وملتقى المسلمين، يبحثون فيه شؤونهم.

ونظم وضع القبائل المجاورة للمدينة من اليهود، فاشتترط عليهم ألا يخرجوا من المدينة إلا بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم، رئيس الدولة، وحرّم عليهم انتهاك حرمة المدينة بحرب أو نصرة على حرب، وحرّم عليهم أن يجيروا قريشاً ولا من نصرها، وأي خلاف ينشب فإن الحكم فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفه رئيساً للدولة المدنية. فتركزت العلاقات في الدولة الإسلامية الناشئة على وضع ثابت الأساس، حتى اطمأن رسول الله صلى الله عليه

وسلم إلى بناء المجتمع السياسي، وأمن إلى حدّ ما غدرَ جيرانه اليهود ومحاربتهم، وأخذ يعمل لإزالة الحواجز المادية من طريق الدعوة الإسلامية بالتهيئة للقتال، ومن تجليات السياسية النبوية، رعاية شؤون الداخل، كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، كانت من خير الأمثلة على حسن رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لشؤون الأمة، شؤون الدولة الجديدة الفتية، فأرسى دعائمها لتقوم بوظيفتها انطلق صلى الله عليه وسلم يرسل السرايا، ويفتعل الأحداث السياسية مع قريش والقبائل المجاورة، فمرة يعترض قوافلهم، وأخرى يعقد صلحاً مع قبيلة، وثالثة يعطي كتاباً لكيان آخر، ومرة يقاتل، وهكذا.. حتى حدث الصدام الكبير مع قريش، غزوة بدر، حيث كانت إعلاناً للدولة الإسلامية الجديدة على مستوى الجزيرة العربية، وأخذت قريش تحسب الحسابات لهذا الكيان السياسي الجديد.

وجاءت غزوة أحد، والتي كانت بغض النظر عن نتائجها العسكرية، كانت اعترافاً صريحاً من قريش بهذا الكيان السياسي الجديد.

جاء صلح الحديبية، الذي كان من أكبر المناورات السياسية، حيث نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحييد قريش عن ساحة الصراع المادي ليتفرغ لأمرين: ليتفرغ لباقي الكيانات السياسية في الجزيرة العربية، ليضمها إلى جسم الدولة الإسلامية.

وليعلن الدولة الإسلامية دولة كبرى في العالم، تؤثر في الموقف الدولي، بل تزاحم الدول الكبرى آنذاك، دولتي الفرس والروم، حيث تفرغ صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية لمخاطبة الدول العظمى في زمنه، وإرسال الرسائل للملوك والأمراء والكيانات السياسية الأخرى، وذلك ليبين للمسلمين أن وظيفة هذه الدولة الأساسية إنما هي تطبيق الإسلام في الداخل وحمل الإسلام إلى الناس كافة ثم كان ما كان بعد ذلك من مواجهات سياسية ومواجهات مادية مسلحة مع الدولة العظمى آنذاك دولة الروم، لتصبح الدولة الإسلامية ثالث الدول العظمى بعد دولتي الروم والفرس.

وفي هذا الجانب، جانب تحويل الدولة الإسلامية إلى دولة عظمى، تجدر الإشارة إلى تشكيله صلى الله عليه وسلم جيشاً كبيراً أراد توجيهه إلى دولة الروم، ذلك الجيش الذي سمي بـ (جيش أسامة) أو (بعث أسامة)، وانتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وهو يكرر الوصية أنفذوا بعث أسامة، تأكيداً للصراع الدولي الذي يتحتم على دولة الإسلام أن تخوضه

## الشخصية

مع الدول العظمى، لتحل محلها، وتأخذ منها زمام المبادرة. وفعلاً أتم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم ما كانت تمر به الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من عواصف قوية تمثلت في ارتداد قبائل من العرب عن الإسلام.

ثم جاء فتح مكة، وتلاه عام الوفود الذي كان ضمناً فعلياً للكيانات السياسية الموجودة في الجزيرة العربية إلى كيان دولة الإسلام، وهذا يعني امتداد دولته صلى الله عليه وسلم، وازدياد قوتها، مما وضعها في مصاف الدول العظمى في ذلك الزمان قبل أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

وبناء على ما سبق، تبرز أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية، ويمكن تصنيفها كما يأتي:

- ١ تنظيم العلاقات في المجتمع المدني، مجتمع المدينة المنورة الدولة الإسلامية.
- ٢ تنظيم علاقة المسلمين بغيرهم من القبائل الأخرى المجاورة للمدينة المنورة من اليهود.
- ٣ بيانه صلى الله عليه وسلم لقواعد نظام الحكم في الإسلام، وبيانه لأجهزة الدولة الجديدة.
- ٤ رعاية شؤون المسلمين في الداخل بأحكام الإسلام.
- ٥ العلاقات الدولية من معاهدات ومفاوضات، وجهاد لنشر دعوة الإسلام، ومناورات سياسية، والارتقاء بدولة الإسلام من دولة ناشئة فتية، إلى كيان سياسي تعترف به الجزيرة العربية، ويعترف به أكبر كيان سياسي في الجزيرة آنذاك وهو كيان مكة، ثم الارتقاء بهذا الكيان السياسي ليكون في مصاف الدول العظمى، فيزاحم الدولتين العظيمين: الروم والفرس ليأخذ منهما بعد ذلك مقعد الصدارة، ومكانة الدولة الأولى في العالم.

وأعماله السياسية عادت نتائجها على الأمة الإسلامية بالخير والازدهار في الداخل والخارج، ولم يتحيز صلى الله عليه وسلم لنفسه أو لقرابته مثلاً، بل إن عائد أعماله كان يصب في مصلحة المسلمين كافة.

لقد خط رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين ولأمة الإسلام من بعده هذه الخطوط السياسية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية ليسير عليه المسلمون من بعده، وقد سار عليها الصجابة الكرام عليهم رضوان الله، وتابعوهم، وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين، واستمر المسلمون يحملون الإسلام حملاً روحياً وحملاً سياسياً لأن عقيدة الإسلام عقيدة روحية سياسية.

### علاقة الدين بالدولة

قال تعالى ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط الدين: -هنا- مجموعة العقائد والقواعد والأعمال المتلقاة للرسول من الله الخالق يعُدُّ العاملين بها بالنعيم المقيم والمعرضين عنها بالعقاب.

وقد يُطلق على الشريعة -وهي سلسلة محكمة من القواعد والضوابط- المبادئ والأحكام التفصيلية، مغطية العقائد والأخلاق والسلوك والمعاملات في كل أبعادها، منظمة علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأبناء جنسه "البشر"، فكانت إيماناً وعبادات مقرونة بالعمل الصالح، مما جعل القيم أساساً لقوانين المعاملات، إنَّه تسلسل مترابط نسيجٌ وحده بين الإيمان والعمل والمعاملة، يحقق العدالة والسعادة في حياة البشر، ويجنبهم الظلم والطغيان والشقاء فلا يمكن فصل الدين عن الدولة وما عرف التاريخ إنساناً كمل في هذه الجوانب كلها إلى أعلى درجات الكمال غير محمد -صلى الله عليه وسلم- مع ملاحظة أن كمالاته هنا جانب من جوانب كمالاته المتعددة التي لا يحيط بها غير خالقها. ولنتعرض جوانب سيرة رسول الله، تلك الجوانب العملية لنرى تجليات مواقفه المتعلقة بالسياسة

ومنها انه طالب المشركون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر من مرة أن يطرد المستضعفين من المسلمين حتى يجلسوا إليه، وفي كل مرة كان ينتزل قرآن ويكون موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم- الرفض، ومن هذه ما أخرجه أبو نعيم عن ابن مسعود قال: من المأ (أي السادة) من قريش على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار -رضي الله عنهم- ونحوهم وناس من ضعفاء المسلمين فقالوا (أي المأ مخاطبين رسول الله): أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء الذين من الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك قال: فرض رسول الله طلبهم رواه والطبراني. والرسول -عليه الصلاة والسلام- استطاع أن يقود الناس بهذا الإسلام. فلا نجد موقفاً من مواقفه تناقض مع نصوص

## الشخصية

ومبادئ دعوته، وعلمت أنه ما من زعيم سياسي إلا ويضطر للتناقص، إما لاحقاً مع سابق أو دعوى مع عمل أو داخلياً مع خارجي، أدركت مدى الكمال في القيادة المحمدية، وخاصة إذا عرفت أنه لم يستطيع أن يرتفع من حكام الأمة الإسلامية إلى القيادة بالإسلام الكامل بحق، إلا أفراد منهم الخلفاء الراشدون الأربعة، أما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ساس الناس بالإسلام ولم ينزل بالإسلام إلى مستوى الناس، بل رفع الناس إلى مستواه على وتيرة واحدة ونسق واحد في الفكر والعمل.

ونجد أنه صلى الله عليه وسلم- قد نجح فيهما. فرغم تألب الجزيرة العربية كلها عليه، ورغم العداء العنيف الذي ووجه به، ورغم كل شيء فإن عملية التبليغ لم تنقطع لحظة من اللحظات. أما للأمر الثاني، فأنت تلاحظ حكمة مواقفه تجاه العدو، فهو في مكة يصبر ويأمر أتباعه بالصبر، ولم يأمر بقتالهم، ولو فعل ذلك لخسر أتباعه قتلاً، ولشغل بذلك في قضايا الثأر، ولما أمكنه أن يتابع عملية التبليغ. فكسب بهذه الخطة كثيراً من القلوب. فإذا ما انتقل إلى المدينة رأيت تجدد مواقفه على حسب الظروف الجديدة من معاهدة إلى سلام إلى حرب إلى ضربة هنا ووثبة هناك. ولكن هذا كله لم يؤثر بتاتاً على عملية تبليغ الحق وإقناع الناس به على كل مستوى وبكل وسيلة ملائمة. وخلاصة القول: لا توجد حركة سياسية تقوم على أساس عقدي نجحت كما نجحت دعوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي فترة قصيرة، وهذا يدلنا على أن الأمر أكبر من أن يكون -لولا التوفيق الإلهي- لهذا الرسول الأعظم الفذ على مدى التاريخ بين الرجال وقدرته صلى الله عليه وسلم على استيعاب أتباعه تربيةً وتنظيماً وتسييراً ورعاية عندما لا يحس الأتباع بالرعاية الدائمة، والملاحظة التامة، وعندما لا يوضعون فيما يحس وضعهم به، أو عندما يحسون بأنهم منسيون، أو عندما لا يعرف الإنسان محله ومهمته بها، كل هذا يؤثر على نفسية الأتباع ويولد عندهم فتوراً عن الدعوة.

فترى في الجانب الأول: تربية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكيف أن الأمة الإسلامية كلها قد وسعت تربية. في الجانب الثاني: نرى الحركية الدائمة التي كان يجعل أصحابه دائماً يعيشونها. في الجانب الثالث: ترى دقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الرعاية والعناية والسهر على شؤون الأتباع بشكل عجيب، ولعل هذا الجانب أحق بالتمثيل:

وذلك لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن



عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره، ومما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلادته حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه. وقد وجههم مرتين إلى الحبشة. مرة في السنة الخامسة، ومرة في السنة السابعة. حيث كان المسلمون مقدمين على أعظم مراحل الاضطهاد مرحلة المقاطعة الشاملة.

والأمثلة كثيرة وفيها دلالة على مبلغ دقة الرسول - صلى الله عليه وسلم- في توجيه أصحابه بالشكل الذي يحمون فيه ويؤمنون، وكيف أنه لا ينسى أحداً منهم بل يستوعبهم جميعاً برعايته، وكيف يعدهم للخطة المناسبة، وكيف يسيّر كل واحد منهم بحكمة تناسب وضعه -

الشورى استخراج طاقات العقول بالشورى من عبقریات الرئاسة وحسن سياستها، واستخلاص الرأي الصحيح. وفي كل من هذين كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأسوة العليا للبشرونرى ان الشورى في فن السياسة عملية تستجمع فيها طاقات العقول كلها لاستخلاص الرأي الصالح، ويتحمل فيها كل فرد مسؤولية القرار النهائي، ويقتنع فيها كل فرد بالنتيجة. فيندفع نحو المراد بقوة وترتفع بها ملكات الفرد وروح الجماعة. ويبقى الإنسان فيها على صلة بمشاكل أمته وجماعته، ولذلك جعل الله أمر المسلمين شورى بينهم، حتى يتحمل كل فرد من المسلمين المسؤولية كاملة ولا يبقى مسلم مهملًا.

والظاهرة التي نراها في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كقائد. حبه للشورى وحرصه عليها ومحاولته توسيع دائرتها واستخلاصه الرأي الأخير في النهاية: قبيل غزوة بدر استشار الناس فأشار المهاجرون، فلم يكتف ثم استشار الناس فأشار الخزرج والأوس، ثم اتخذ قراره الأخير حتى يمحو أي تردد عن أي نفس. وقبيل يوم أحد استشار الناس وأخذ برأي الأكثرية. ويوم الأحزاب أخذ برأي سلمان الفارسي. ويوم الحديبية أشارت عليه أم سلمة زوجته فأخذ برأيها.

انها القيادة التي لا تستكبر أن تنزل على رأي مسلم كائنًا من كان، ما دام الرأي سليماً صحيحاً. والقيادة الصالحة هي التي تعمم الشورى حتى لا يبقى أحد عنده رأي إلا قاله وخاصة فيما يكون فيه غرم. أما معرفة الرجال ووضع كل في محله المناسب له وتكليفه بالمهمة التي يصلح لها، فذلك لا يلحق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أحد فيها.

إن أبا بكر وعمر كانا في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يلقبهما الصحابة بالوزيرين له، وكان يسمر معهما في قضايا المسلمين، ولما مرض -صلى الله عليه وسلم- أمر أبا بكر

## الشخصية

أن يصلي بالناس وهذا الذي جعل المسلمين يختارونه بعده خليفة، ثم كان عمر الخليفة الثاني، والناس يعرفون ماذا فعل أبو بكر وعمر يوم حكما الناس، فهل يشك أحد أن تركيز الرسول - صلى الله عليه وسلم- على هاتين الشخصيتين كان في محله، وأنهما من الكفاءة في المحل الأعلى، وأن رأي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيهما في محله. وهذان مثلان فقط وإلا فما اختار رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رجلاً إلا ورأيت الحكمة في هذا الاختيار لكل مقام رجال وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر الخلق فراسة في اختيار الرجل المناسب للمقام المناسب.

لقد مضى على بدء الإسلام أربعة عشر قرناً، ولا زال الإسلام في انتشار، ولا زال يتوسع، رغم كل ما تبذله الدعايات الكافرة من أعدائه، سواء كانوا أصحاب دين أو غير أصحاب دين بطرق منظمة وغير منظمة، فلا زال الإسلام هو الإسلام ولا زال قادراً على الحركة. ورغم المالبسات التاريخية التي أوقعت العالم الإسلامي في قبضة أعدائه، ورغم سيطرة الأعداء للإسلام باق. ورغم أن الكافرين استطاعوا أن يهيؤوا لأعداء الإسلام وسائل الانتصار داخل العالم الإسلامي فالإسلام شامخ يتحدى ويقهر.

ما استقر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة بعد هجرته كان لا بد له من أن يستعد لنزال قريش وخوض الحرب معها فما كانت قريش بالتي ترضى أن تكون للرسول في المدينة العزة والمنعة. وهي التي حرصت ثلاثة عشر عاماً على مناصبة دعوته العدا، فكيف وقد أفلت من يدها وأصبح في المدينة سيدها وقائدها ورئيسها المحبوب

لقد كان الصراع مع قريش بعد الهجرة - صراعاً حريبياً - أمراً متوقعاً في نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وكان في المدينة - مع الأوس والخزرج - عدد كبير من اليهود يسكنون في أراضيها أو على مواقع تحيط بها ، ولم يكن يتوقع الرسول من اليهود سلماً لدعوته ورضى بانتشارها وهم الذين كانوا يستولون على مقدرات سكانها من الأوس والخزرج ، ويثيرون العدوان بينهم ، لتظل لهم السيطرة السياسية والمالية عليهم ، فكيف يرتاحون إلى وحدة كلمة هؤلاء المؤمنين من جيرانهم ، وانتهاء الحروب والفتن الداخلية فيما بينهم ؟

هذا مع ما فاض به تاريخ اليهود من محاربة لرسول الله ، وقتل لأنبيائه ، وإثارة للفتن والعداء في كل مجتمع يعيشون فيه ، وبذلك واجه الرسول في المدينة جبهة أخرى معادية لدعوته ، بعد أن كان العداء بينه وبين خصوم الدعوة في مكة محصوراً في قريش ومن يناصرها .

هنا تتجلى حكمة الرسول البعيدة المدى ، إذ بادر إلى عقد ميثاق بينه وبين يهود المدينة ليأمن شرهم ، ويمنعهم من مؤازرة قريش في معاركها المقبلة . ووضع الميثاق وأصبح اليهود مواطنين في المدينة يربطهم الميثاق الجديد بالدفاع عن المدينة ممن يقصد غزوها ، وبأن يكونوا مع المؤمنين فيها يداً واحدة على النوائب ومن هنا استطاع الرسول أن يتفرغ لرد عدوان قريش ، وأن يخوض معها بديراً وأحداً وغيرهما من المعارك ، آمناً في جبهته الداخلية، مكفياً شر اليهود وهم أقدر على إيذائه من قريش إذ كانوا في أرباض المدينة وما حولها .

### مفهوم السياسة في الإسلام:

كلمة (سياسة) تطلق على كل عمل يتعلق برعاية الأمة، وتدبير شؤونها.. سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو التعليمية، أو إدارة الدولة، أو نشاط الأفراد والأحزاب الإسلامية، أو القضاء وإدارة العلاقات الخارجية والدفاع عن الأمة والعقيدة والأوطان... الخ وإذن فالحكومة مسؤولة عن رعاية شؤون الأمة، والأمة مسؤولة عن رعاية شؤونها، ومن رعاية شؤونها، مراقبتها للسلطة، ومحاسبتها، وإسداء النصح والمشورة، وتحديد الموقف منها عند الانحراف، والخروج عن الخط الإسلامي..

وتسأل عن هذا الواجب ابتداء الأمة الإسلامية بأجمعها، ثم تتركز المهمة (بالسلطة الإسلامية) مع بقاء المسؤولية السياسية قائمة من خلال واجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على نحو الكفاية.

والواضح أنّ الرعاية، والاهتمام بشؤون الأمة ومصالحها، يدخل فيها فنّ الحكم، ونشاطات السلطة السياسية، ونشاطات الأمة السياسية، بما فيها الكفاح والثورة ضدّ الحاكم الظالم. وهكذا يتسع مفهوم السياسة في الإسلام، ليشمل كل ما هو رعاية لشؤون الأمة، ومصالحها. وبعبارة أخرى أن السياسة: عمل تقوم به الأمة، وجهاز السلطة، من أجل تحقيق الأهداف الأساسية للرسالة الإسلامية التي لخصها الفقهاء بـ"جلب المصالح ودرء المفاسد". مفهوم السياسة في القرآن:

لقد تحدث القرآن الكريم عن السياسة والحكومة في موارد كثيرة من آياته، تحت عنوان الإمامة والخلافة والولاية والحكم فجعلها أمانة بيد الحاكم، وضرورة عقائدية لهداية الإنسان، وإصلاح الحياة البشرية، لتحقيق العدل، وتطبيق القانون والنظام اللذين يحفظان ارادة الحق

والعدل والخير في هذا الوجود، إرادة الله سبحانه.. وفيما يلي نقرأ مجموعة من الآيات الكريمة التي تعطينا صورة واضحة لمفهوم السياسة في الإسلام.

قال تعالى مخاطباً النبي داود (ع): (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) سورة ص

وقال أيضاً ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (يونس) وقال وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ (البقرة)

وقال إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (النساء)

وكما أثبت القرآن تلك الأسس الفكرية للحكم والسياسة. تثبت كذلك مبدأ الشورى والتشاور كأساس من أسس النظام السياسي في الإسلام. فقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم : (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر (آل عمران/ ١٥٩).

وقال تعالى : واصفاً المؤمنين في حياتهم السياسية والاجتماعية: (.. وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) وفي موضع آخر تحدث عن البيعة والطاعة لولاة الأمور الذين يقيمون الإسلام وينفذون سياسة الحق والعدل، واعتبرها واجبة على الأمة

مفهوم السياسة في السنة المطهرة

وتتحدث النصوص الواردة عن رسول الله (ص) والأئمة الهداة (ع) والصحابة (رض) عن مفهوم السياسة والحكم والمسؤولية السياسية والعمل السياسي في الإسلام. كما توضح السيرة العملية للرسول الكريم محمد(ص) مفهوم السياسة والحكم أفضل ايضاح، فقد أقام الرسول (ص) دولته المقدسة في المدينة المنورة، وطبق المفاهيم الإسلامية لتكون نهجاً ودستوراً للحياة. ونختار من الأحاديث الشريفة، لنوضح مفهوم السياسة في الإسلام وشموله ما يأتي:

قال (ص): "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..."  
وروي عنه (ص) قوله: "ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم."  
وروي عنه (ص): "من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً، وهو يجد من هو أصلح منه للمسلمين، فقد خان الله وروسوله والمؤمنين"  
وقال ص ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة."  
"وقال ص ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصح، إلا لم يجد رائحة الجنة."  
روي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قول النبي (ص): "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل يا رسول الله وما اضاعتها، قال اذا وسد الأمر الى غير أهله، فانتظر الساعة."  
وروي عن رسول الله (ص) قوله: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر."  
وروي عن الإمام الحسين علي بن أبي طالب (ع) قوله عندما أعلن الثورة على حكومة يزيد بن معاوية ورفض البيعة: "وإني لم أخرج اشرأ، ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله، أريد أن أمر بالمعروف وانهي عن المنكر.  
فالسياسة في الإسلام تعني إدارة شؤون الحكم، وتربية الإنسان على القيم والمبادئ الإسلامية، وتعني المعارضة ومقاومة الحاكم الظالم، وتقديم الخدمات، وعمار البلاد وتطويرها، كما تعني توجيه شؤون لإقتصاد وترشيدها، وحفظ اموال الأمة وانمائها، كما تعني الانتصار للمظلوم، والوقوف بوجه الظالم وكل علاقة يدخل فيها الحاكم والمحكوم ممّا يرتبط برعاية شؤون الأمة وتدبيرها.  
وتعني القيام بمهمة القضاء، والدفاع، وحماية الأمن، وتمثيل الحاكم للأمة، والنيابة عنها، وحفظ حقوقها الأدبية والإنسانية... الخ.  
وقد عُرِّفت السياسة في الفكر السياسي الإسلامي بأنها: "رعاية شؤون الأمة."  
تميز الإسلام بأنه دين السياسة، وتميز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسول السياسي، ذلك أن الشريعة التي أوحى الله تعالى بها إليه شريعة شاملة جوانب حياة البشر كافة من جميع نواحيها، لأنها عالجت مشاكل الإنسان بوصفه إنساناً، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتطبيق هذه الشريعة تطبيقاً عملياً، لا غرور؛ فهو المبلغ عن الله شريعته قولاً وعملاً وسكوتاً، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

## الرسول القاضي

السيد محمد كويا جمل الليلي الفيضي<sup>١</sup>

## مفهوم القضاء ومشروعيته

يمكن تعريف القضاء بأنه الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للنزاع. فهو من عمل الرسل عليهم الصلاة والسلام، يدل على ذلك قوله تعالى: { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا } ، وقوله: { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } {

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة الخاتمة والدائمة كما كان مأموراً بالدعوة والتبليغ، كان مأموراً بالحكم والفصل في الخصومات. وقد ورد في القرآن الكريم في كثير من الآيات ما يشير إلى ذلك، منها قوله تعالى: { احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ } { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } { وَقوله: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } {

## الحكمة من مشروعية القضاء

القضاء أمر لازم لقيام الأمم ولسعادتها وحياتها حياة طيبة، ولنصرة المظلوم، وقمع الظالم، وقطع الخصومات، وأداء الحقوق إلى مستحقيها، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللضرب على أيدي العابثين وأهل الفساد، كي يسود النظام في المجتمع، فيأمن كل فرد على نفسه وماله، وعلى عرضه وحرية، فتنهض البلدان ويتحقق العمران، ويتفرغ الناس لما يصلح دينهم ودنياهم.

١. القاضي، كاليكوت.

وقد تواترت الآيات في وجوب الحكم بالعدل وتحريم الظلم ، ومن ذلك قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } وقال تعالى : { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } والشناآن هو البغض والشقاق . وقال تعالى : { وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } وفي الحديث القدسي : « قال الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا »

### الهدى النبوي في القضاء

إن سيدنا محمداً ﷺ قضى بين الناس على منهج الحق مع بهجة الصدق، لم ترفع إليه قضية إلا قضى فيها قضاء مبرماً بما أنزل الله، لا يتبع فيه الهوى، ولا يخاف لومة لائم. فصار مثالا للقضاة في جميع العصور بقضائه وسيرته، كما قدم الإرشادات اللازمة لجميع من يتقلد منصب القضاء في كل الدهور ومر الأعوام.

وقد وعد النبي ﷺ أجورا عظيمة وفوائد جسيمة لمن يتولى القضاء ويقوم به أحسن قيام، فجعله من النعم التي يباح الحسد عليها. فقد جاء في حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: { لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا } . وفي حديث عائشة رضي الله عنها { أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَلْ تَدْرُونَ مَنْ السَّابِقُونَ إِلَىٰ ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالُوا . اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ وَإِذَا سُئِلُوهُ بَدَّلُوهُ وَإِذَا حَكَمُوا لِلْمُسْلِمِينَ حَكَمُوا كَحُكْمِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ } . وفي الحديث الصحيح { سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ } الحديث، فبدأ بالإمام العادل. وقال ﷺ : { الْمُفْسِطُونَ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينٌ }

على أنه ﷺ أنذر بوعيد شديد لمن يجور في حكمه وقضائه. عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قال: القضاة ثلاثة فقاضيان في النار، وقاض في الجنة. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، وأما اللذان في النار فرجل عرف الحق فجار في الحكم، ورجل قضى على جهل؛ فهما في النار. " وقال رسول الله ﷺ: الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار تبرأ الله منه ولزمه الشيطان "

## الشخصية

وقد رغب النبي ﷺ عن طلب القضاء و عن التطلع إليه. عَنِ أَنَسِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَأَلَ الْقَضَاءَ وَابْتَغَى عَلَيْهِ الشَّفَاعَةَ وَكَلَّ إِلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَكْرَهُ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ.

و كان النبي ﷺ يوصي من يوليهم القضاء بتوصيات قيمة، ويبين لهم ما يحتاجون إليه في القضاء. فقد روي عن معاذ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ لَكَ الْقَضَاءُ؟ قَالَ: أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا أَلُو؛ قَالَ: فَضَرْبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لَمَا يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلم النبي ﷺ أن من الآداب التي يجب أن يتأدب به القاضي أن يكون في حالة نفسية هادئة راضية حينما يجلس للقضاء حتى يكون مستعداً تمام الاستعداد لسماع الدعاوى وما يقدمه الخصوم من بينات ودفع ، فقد جاء في الحديث الشريف الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان » فنص صلى الله عليه وسلم على الغضب ونبه على ما في معناه ، ولهذا قال الفقهاء ينبغي أن يكون القاضي خالياً من الجوع الشديد والعطش والفرح الشديد والحزن الكثير والهم العظيم والوجع المؤلم ومدافعة الأخبثين أو أحدهما ، والنعاس ، لأن هذه الأشياء ونحوها مثل الغضب تآثر في حالة القاضي النفسية وحضور ذهنه لمقتضيات الدعوى واستعداده المطلوب لسماع أقوال الخصمين .

وعلى القاضي أن لا يقضي بعلمه لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تختصمون إلي ، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها » .

وينبغي للقاضي ان يجلس في مجلس قضائه محترماً مهيباً لا تأخذه في الحق لومة لائم، وأن يسوي بين الأمير والحقير وبين الشريف والوضيع، و أن يكون غير مستكبر عن مشورة من معه من أهل العلم، ورعا ذكياً فطناً، متأنياً غير عجول، نزها عما في أيدي الناس، عاقلاً مرضي الأحوال، موثقاً باحتياطه في نظره لنفسه في دينه وفيما حمل من أمر من ولي النظر لهم، غير مخدوع، وقوراً مهيباً، متواضعاً من غير ضعف، حاكماً بشهادة العدول، لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخشى في الله لومة لائم. ويجتهد أن يكون جميل الهيئة ظاهر



الأبهة وقور المشية والجلسة حسن النطق والصمت محترزا في كلامه من الفضول وما لا حاجة إليه.

ونرى في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأمثلة للتأدب بمثل هذه الآداب المثلى، حتى إن القضاة الأفاضل في العصور الأوائل كانوا يتمسكون بهذه القيم والآداب اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما يروي لنا كتب التاريخ. مثلا، دخل الأشعث بن قيس على القاضي شريح في مجلس الحكومة فقال شريح : مرحبا وأهلا وسهلا بشيخنا وسيدنا ، وأجلسه معه ، فبينما هو جالس معه إذ دخل رجل يتظلم من الأشعث فقال له شريح : قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك ، فقال بل أكلمه في مجلسي فقال له : لتقومن أو لأمرن من يقيمك ، فقام امتثالا لأمر القضاء.

## الرسول الفاتح

حبيب الله الفيضي<sup>١</sup>

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد،

يا حبذا الرسول الفاتح الذي رفع راية الإسلام أم القرى بدون اي سفك الدماء! ولا حبذا من رموا نبلهم نحو هذا النبي الفاتح قاذفين أن شمس الإسلام قد أشرقت في كثير من البلدان تحت ظلال السيوف مستمددين من موقف النبي في غزوته وفتحه، فبعداً لهذا الادعاء ضد النبي ﷺ حيث إن التاريخ سجل فتحه النبيل بمداد لا يعقبه كر الليالي والأيام.

هنا بون بعيد بين فتح النبي ﷺ وبين فتوحات أخرى ولا سيما حروب العصر الحديث، وبين أساليبهما، وبين استراتيجياتهما.. وبين .. وبين..

فجدير بالذكر أن سلاحه في ميدان القتال وفي ميدان حياته الزاهية لم يكن سلاحا ماديا فحسب بل روحيا مقتبسا من الوحي الإلهي ولم يكن سيفه كسيف باقي الملوك بل إنه كان سيفاً قد قطع القلوب لا الاجساد وقد خضع تحته الارواح لا الأجسام ولم يكن سيفه حاد الجانب بل كله حاد ينحدر حق الانحدار إلى أعماق الضمائر، إنه لم يغلب على بلدان لها بداية ونهاية فقط بل غلب على وجدان ليس لها بداية ولا نهاية.

ولا شك أن فتح النبي لا ينحصر في جزيرة العرب ولا في خارجها بل إنه ﷺ سار إلى جوار رب العالمين حتى كان قاب قوسين أو أدنى وصار نعله فوق كل مخلوق كما قال الشاعر: على رأس هذا الكون نعل محمد علت فجميع الخلق تحت ظلالة

## حبيب يبدأ بالدعوة الإسلامية

من حديث ابن عباس : قال لما نزلت هذه الآية " وأنذر عشيرتك الأقربين " خرج رسول الله حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال : أرأيتم لو أخبرتمكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا : ما جربنا عليك كذبا قال فإني

<sup>١</sup> . عميد، كلية دار العلوم للآداب والدراسات الإسلامية، توتا.

نذير لكم بين يدي عذاب شديد فجوابهم ما جربنا عليك كذبا يدل على رؤيتهم عن النبي منذ نعامة ظفره أنه صادق وسموا بالأمين، فلا بد من الصدق في ميدان الدعوة حيث صار صدقه ﷺ مفتاحاً لفتح قلوب من لهم قلوب يفقون بها.

وللأسف الشديد منذ هذه اللحظة التي أعلن فيها النبي عن الإسلام انفجرت مكة بمشاعر الغضب ودارت الحرب على الرسول بشتى أنواعها وأشكالها تارة بإيذائه والإساءة إليه وتارة بمحاولة قتله وتارة بحربه وتارة باتهامه في أهل بيته وتارة بوضع السم له في الطعام وتارة ... وتارة، وعلي الرغم من أنه ﷺ واجه تحديات عديدة في رحاب الدعوة لم يكن شاكياً السلاح إلا لما لا بد منه.

### حبيب يدافع عن نفسه

ولم تضع الحرب أوزارها بل مازالت مستمرة على المصطفى ﷺ ودارت حوله.. حتى حاول عقبة بن أبي معيط الجار الثاني لرسول الله ﷺ خنقه وقتله فقد أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص : "أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات؟

### حبيب يدافع الله عنه ويجعله فرجا ومخرجا

لما كاد المشركون للرسول الأمين واجتمعوا على قتله وعزموا على ذلك ليحلوا بينه وبين الوصول إلى أصحابه في المدينة إذ بجبريل عليه السلام ينزل بوحي من الله عز وجل " لا تبت في فراشك الليلة " ويخرج النبي ﷺ من بين أظهرهم ويذري التراب على رؤوسهم وهو يتلو قول الحق سبحانه وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ فيخطف الله أبصارهم وما من رجل إلا ويضع رأسه على صورة ويغط غطيظاً ويخرج النبي ﷺ سالماً يكلوه الله بحفظه ورعايته . اليس الله بكاف عبده حتى استمرت الرعاية الربانية لخير البرية من ملك الملوك إلى أحب خلقه إليه ﷺ ويحفظه عن كيد الكائدين ومكر الماكرين ، كيف لا وهو القائل : وَاللَّهِ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ وَكَيْفَ يَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ فَاتِحًا بَدُونَ الْعَصْمَةِ مِنَ اللَّهِ

حبيب يعفو الظالمين:

يدعو النبي ﷺ أهل الطائف من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخر ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام يمشي إليهم في حر الظهيرة غير أن أهلها لم يجبوا بل وسلطوا عليه صبيانهم وعبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به واجتمع عليه الناس ورشقوه بالحجارة وأصيب الرسول ﷺ في قدمه الشريفة واختضب نعله بالدماء حتى ألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنا ربيعة ويأتيه جبريل وقال: " إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملكُ الجبال فسلم عليّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملكُ الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - الأخشب من الجبال : الخشن الغليظ وهما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله - ؟ فقال رسول الله ﷺ: "بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً" ، فما كان احسن ما قال النبي ﷺ حتى لم يجب لجبريل عليه السلام بإهلاك قوم طائف! ولو قال بنعم لا يبقى احد فيها بعده لمعانقة الاسلام في المستقبل العاجل كما شاهد التاريخ.

وفي أثناء هجرته ﷺ إلى المدينة يلحق به سراقه بن مالك لينال منه رجاء الفوز بالمكافأة التي أعلنت عنها قريش وهي مئة ناقة لمن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه حيين أو ميتين. ولكن بأمر من الله ساخت وغاصت قائمتا فرس سراقه بن مالك في الرمال فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار أرتفع في السماء مثل الدخان فعلم سراقه ان عمله ضائع سدى وداخله رغب عظيم فنادى بالأمان ثم أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يكتب له كتاب أمان... حتى بعد سنوات فتح الله ملك كسرى في خلافة عمر رضي الله عنه ولبس سراقه سوار كسرى كما قص النبي ﷺ في ذلك الوقت.

ولما تم فتح بدر عامل النبي ﷺ لمن لم يكن معه فداء معاملة لا نظير لها في تاريخ العالم وذلك أنه من يحسن القراءة والكتابة من اسرى بدر أعطاه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم بدل الفدية.

وفي يوم الفتح الأعظم دخل النبي ﷺ مكة على قريش ودخل الكعبة ثم جلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش، الذين آذوه وأخرجوه من بلده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق حتى قال : يا معشر قريش؟ ما

تظنون أنني فاعل بكم قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وفي ذلك اليوم أغلق عثمان بن طلحة باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلعم مفتاح الكعبة، فقيل : إنّه مع عثمان ، فطلب منه علي رضي الله عنه فأجاب : لو علمت إنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يده ، فأخذ منه المفتاح وفتح الباب ، ودخل رسول الله ﷺ وصلى فيه ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح وجمع له بين السقاية والسدانة بل سأل رسول الله ﷺ أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء ولم يلتفت إلى أنه لم يسلم فقال عثمان : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله ، وأسلم.

وفي خطبته ﷺ حجة الوداع قال: "يا أيها الناس، أيّ يوم هذا؟" قالوا: يوم حرام. قال: "أيّ بلد هذا؟" قالوا: بلد حرام. قال: "فأيّ شهر هذا؟" قالوا: شهر حرام. قال: "فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا". ثم أعادها مراراً. ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: "اللهم هل بلغت!" مراراً قال: يقول ابن عباس: والله لو صيئة إلى ربه عز وجل ثم قال: "ألا فليبلغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" فالنبي ﷺ ينهى عن المقاتلة وسفك الدماء والرجوع بعده كفاراً.

وإليك ما صنع النبي ﷺ في ذلك اليوم بمن أهدر دماؤهم لشدة عداوتهم للإسلام ، والتأليب على المسلمين فمنهم صفوان بن أمية الذي اختفى وأراد أن يذهب ليلقي بنفسه في البحر ، فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال: يا نبي الله ، إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فأمنه ، فأعطاه عمامته ، فأخذها عمير حتى إذا لقي صفوان قال له: فذاك أبي وأمي. جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، وهو ابن عمك، وعزه عزك، وشرفه شرفك، ومملكه ملكك فقال صفوان: إني أخافه على نفسي. قال عمير: هو أحلم من ذلك وأكرم، وأراه علامة الأمان و هي العمامة؛ فقبل برده، فرجع إلى رسول الله فقال: إن هذا يزعم أنك أمنتني، فقال النبي: "صدق". فقال صفوان: أمهلني بالخيار شهرين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أربعة أشهر، ثم أسلم بعد وحسن

## الشخصية

إسلامه فهل بعد هذه الحجج الدامغة يتقوّل متقوّل على الإسلام زاعماً أنه قام على السيف والإكراه؟!!

ومنهم عكرمة بن أبي جهل الذي هرب، ولكن خرجت وراءه زوجته و بنت عمه أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت قد أسلمت يوم الفتح، وقد أخذت له أماناً من رسول الله فلحقته، وقد أراد أن يركب البحر، فقالت: جئتك من عند أبر الناس، وخيرهم، لا تهلك نفسك، وإني قد استأمنتك لك فرجع، ولما رآه عليه الصلاة والسلام وثب قائماً فرحاً به، وقال: "مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً" ثم أسلم رضي الله عنه، وطلب من رسول الله أن يستغفر له كل عداوة عاداه إياها فاستغفر له، وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغیرهم على الإسلام.

ومنهم هبّار بن الأسود الذي هرب، واختفى، حتى إذا كان رسول الله بالجعرانة جاءه مسلماً، وقال: يا رسول الله، هربت منك وأردت اللحاق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عن جهل عليك، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك، وأنقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل، فقال عليه الصلاة والسلام: "قد عفوت عنك".

ومنهم كعب بن زهير الذي جاء المدينة بعد ان قدمها رسول الله نازلاً برجل من جهينة فقال يا رسول الله أرأيت إن أتيتك بكعب بن زهير مسلماً أتؤمنه قال نعم قال فأنا كعب بن زهير فتواثبت الأنصار تقول يا رسول الله انذن لنا فيه فقال وكيف وقد أتاني مسلماً وكف عنه المهاجرون ولم يقولوا شيئاً فأنشد رسول الله قصيدة: وقال إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول فألقى صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم حبيب يقبل شروط الأعداء!

ولما داخل رعب عظيم في قريش حينما سمعوا بيعة أصحاب النبي ﷺ على الموت - بيعة الرضوان- ارسلت قرش سهيل بين عمرو للمكالمة في الصلح وعرض الشروط التي تريدها قريش فقبل النبي ﷺ كل هذه الشروط حتى داخل المسلمين امر عظيم وقالوا سبحان الله! كيف نرد عليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً؟ فرد النبي ﷺ رداً جميلاً: .... فسيجعل الله له فرجا ومخرجاً. وقال النبي ﷺ لمن هرب للمسلمين من مكة اصبر واحتسب غير أن المسلمين علموا أن رأي رسول الله ﷺ أفضل وأحسن من رأيهم حتى قال ابوبكر رضي الله عنه ما كان فتح في الإسلام أعظم من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عما

كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون، والله لا يجعل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمر ما أراد. وفي رجوعه ﷺ من الحديبية نزلت "انا فتحنا لك فتحا مبينا". فقال رسول الله : لقد أنزلت علي آية أحب إلي من الدنيا وما فيها

**حبيب يقوم بإرسال الرسالة إلى ملوك الأرض.**

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست وأمن الطريق من قريش كاتب ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ولما وصل الكتاب احترمه بعض الملوك غاية الاحترام كالنجاشي ملك الحبشة واحتقره بعضهم مثل كسرى ملك فارس ودعا النبي ﷺ على ملكه أن يمزق الله ملكه وقد كان، ولم يتول النبي ﷺ ولاية بل كان يولي على قوم كبيرهم ويريد تزكيتهم وتربيتهم وقيادتهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام.

**حبيب يعامل أسيرا معاملة الأخ**

ولما اسرى المسلمون في سرية من السرايا سيد بني حنيفة - ثمامة بن أثال الحنفي - وهم لا يعرفونه، فأتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه وأكرمه ، وأبقاه عنده ثلاثة أيام، وكان في كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضاً كريماً فيأبى ويقول: إن تسأل مالا تُعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أطلق سراحه ولقد استرقت قلب ثمامة هذه السماحة الفائقة ، وهذه المعاملة الكريمة ، فذهب واغتسل ، ثم عاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً مختاراً ، وقال له: يا محمد، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي. والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلي من دينك، فقد أصبح دينك أحب الدين إلي. والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فقد أصبح أحب البلاد إلي.

وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامه سروراً عظيماً ، فقد أسلم بإسلامه كثير من قومه ، ولم يقف أثر هذا التسامح في المعاملة عند إسلام ثمامة وقومه بل كانت له آثار بعيدة المدى في تاريخ الدعوة الإسلامية ، فقد ذهب مكة معتمراً ، فهم أهلها أن يؤذوه ولكنهم ذكروا حاجتهم إلى حبوب اليمامة، فآلى على نفسه أن لا يرسل لقريش شيئاً من الحبوب حتى يؤمنوا، فجهدوا جهداً شديداً فلم يروا بُدأً من الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم ترى ماذا كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم؟ أيدع ثمامة حتى يلجئهم بسبب منع

الحبوب عنهم إلى الإيمان؟ لا. لقد عاملهم بما عرف عنه من التسامح، وأن لا إكراه في الدين، فكتب إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين حبوب اليمامة، ففعل .

### حبيب فاتح يختار حياة 'طيبة'!

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعبد الناس، قام في الصلاة حتى تفترت قدماه، وكان أزهد الناس؛ لا يجد في أكثر الأوقات ما يأكل، وكان فراشه محشواً ليفاً، وربما كان كساء من شعر، وكان أحلم الناس يحب العفو والستر ويأمر بهما، وكان أجود الناس؛ قالت عائشة: "كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ستة دنائير فأخرج أربعة وبقي ديناران، فامتنع منه النوم، فسألته فأخبرها، فقالت: إذا أصبحت فضعها في مواضعها، فقال: ومن لي بالصبح"، وما سئل شيئاً قط فقال: لا، وكان أشجع الناس؛ قال علي: "كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أقربنا إلى العدو" وكان متواضعاً في شرفه وعلو محله؛ وما دعاه أحد إلا قال: لبيك، وكان طويل الصمت، ضحكه التبسم، وكان يخوض مع أصحابه إذا تحدثوا، فيذكرون الدنيا فيذكرها معهم، ويذكرون الآخرة فيذكرها معهم، ولم يكن فاحشاً ولا يجزي السيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح؛ قالت عائشة: ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما ضرت امرأة قط، ولا ضرب خادماً، ولا ضرب شيئاً قط إلا أن يجاهد، وقال أنس: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما سبني قط ولا ضربني ولا انتهرني ولا عيب في وجهي، وكان أشد الناس لطفاً؛ وقالت عائشة رضي الله عنها: كان يرفع الثوب ويقم البيت، ويخصف النعل، ويطحن عن خادمه إذا أعيأ، هذا ومن بعض أخلاقه الحسنة وهو 'ملك' المدينة والعرب!

من أجل أن النبي ﷺ فاتح قلوب الناس وساكنها هانت على أصحابه الحياة وطابت لهم هجرة الاوطان وهجر الإخوان حتى قالوا عند وقعة بدر إن امرنا تبع لامرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك الغماد لنسير معك والله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضنا معك.  
زفلا بد لنا من اتباع هذا النبي الفاتح ولا فلاح لأمة إلا باتباعه وابتثاره ولا تغلح امة مهما تقدم الزمان وتقدمت الحضارة وتنوعت الفلسفات وتغيرت الأحوال إلا باتباعه، والله الموفق



## الرسول المعلم

صلاح الدين محمد الرحمانى<sup>١</sup>

في هذه الأيام قد تغيرت مناهج التربية والتعليم في جميع نواحي العالم حتى صارت وسائلها القديمة كالنقوش على سطح الماء. فمجالها الآن مجال التجديد والتفوق، نقدر أن نعثر على وسائل التربية الجديدة في حياة النبي ﷺ. كيف لا وهو الذي أعلن قائلاً: "إنما بعثت معلماً" قبل أربعة عشر قرناً، ونفهم من حياته كيف يمكن أحدنا أن يكون معلماً ذا مهارة ومدرسا ذا أسوة.

كان النبي ﷺ بنفسه تلميذاً مطيعاً عند جبريل عليه السلام ومعلماً مطاعاً عند أصحابه في وقت وحيد. فكان مدرسا فاق المدرسين كلهم بحسن كلامه وبراعة تدريسه ومتانة استراتيجيته فإن المعلم الكامل ينشأ من التلميذ الكامل.

كانت جامعة أصحابه ﷺ جامعة المسجد النبوي بالمدينة المنورة، تعلم فيها تلاميذ خارجيون وتلاميذ داخليون. الأولون التحقوا بالدرس النبوي في أوقات فراغهم من شغلهم وبعد المكتوبات أيضاً، والآخرين التزموا النبي ﷺ كل وقت قلما فارقوه لحوائجهم الفردية، هم الذين اشتهروا بعدُ باسم أهل الصفة.

فجامعتهم جامعة المسجد النبوي، ومنهجهم منهج القرآن والسنة، كانت وسائلهم الدراسية الاستماع والإنصات فقط. ليس عندهم قلم حبر ولا رصاص ولا دفتر ولا خارطة. ولكن كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ كل الاستماع كأن على رؤوسهم الطير ويتشاورون بينهم مسائل الدين والشريعة.

كانت أساليب تدريسه ﷺ أكمل الأساليب بهذا الصدد، يقتدي بها العالم قلباً وقالباً في مجال التربية والتعليم حتى الآن. و من أهم أساليبه ﷺ ما يأتي:

١ - الامتياز من الطلاب (Separation from the students): ليس على المعلم أن يخالط التلاميذ حين ما يلقي الدروس، بل يحسن له أن يمتاز منهم بما شاء من الامتيازات بالصعود والتباعد وغيره فيصعد على سطح رفيع متباعدة من الطلاب ليعتبروا المعلم حق الاعتبار.

<sup>١</sup>. محاضر، المجمع الإسلامي لتذكاري الشيخ أبي بكر الكوتومالي، ملابرم.

فهذا هو النبي ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين" بذل الدعوة جهرا بالدعوة سرا فصعد على الصفا ينادي: يا بني فهر! يا بني عدي! من بطون قريش. وبعد ما اجتمعوا حوله أظهر بين أيديهم ما في قلبه ﷺ ممتثلا أمر ربه وواثقا بعونه، إلى آخر الواقعة.

هنا لم يدعهم إلى الإسلام حينما لقيهم في السوق أو الطريق، بل دعاهم إلى موضع فصعد على الصفا فأذنهم بعذاب شديد. نفهم من هذا أنه ينبغي على المعلم أن يتميز من الطلاب بأية ميزات مثل الصعود على موضع مرتفع أو التباعد قليلا من الطلاب

### ب - حسن المقدمة ( Well Introduction )

إنما يخوض المعلم في موضوع بعد ما حصل على اعتقاد الطلاب به، ثم يشرع في الدروس قائلا ما يتعلق به في الواقعة السابقة، يسأل النبي ﷺ نفسه من اجتمع حوله: أرايتم لو أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ، ما جربنا عليك كذبا . فعرف أن لهم حسن اعتقاد به يصدقونه ويوقرونه، فقال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. إنما خاض النبي ﷺ في الموضوع ( الإنذار والدعوة ) بعد ما تيقن له أنه سيصدق إذا قال لهم .

ومن أمثالها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الفائق بحسن مقدمته، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا. ( رواه البخاري)

### ج- التكرار ( Revision )

التكرار من أبرز أساليب المحاضرة والتدريس، كان النبي ﷺ يكرر الكلمة أو الجملة مرتين أو ثلاث مرات، و كان يعتني بالتثليث في محاضراته، كما يحبه في معظم عباداته. نسرد له مثالين: الأول للمرتين والآخر للتثليث. ١- عن أنس رضي الله عنه ... فلما نزلت هذه الآية ( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) وإن أحب مالي إليّ بيرحاء وإنما صدقة لله تعالى أرجو برها ونخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ بخ ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح. ( رواه البخاري ومسلم).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه. (رواه البخاري ومسلم).

#### د - استعمال الأمثلة (Using examples)

طالما نرى في أقواله ﷺ أمثلة كثيرة تنير عقولنا وتجذب شعورنا، هذا من أخلاق المعلم أن يستعمل المثال ملائماً للأحوال والأوقات، من أمثلته:

١ - عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر. (رواه البخاري ومسلم).

٢ - عن النعمان بن بشير (ر) عن النبي ﷺ قال مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولو نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن يأخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً (رواه البخاري).

#### هـ - الإيماء بالأيادي وغيرها (Gesture).

حينما تمس الحاجة كان النبي ﷺ يؤمى بالأصابع وغيرها من الأعضاء ليفهم سامعوه بسهولة، كما قال: المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه، قال أيضاً بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى.

#### و - السؤال والجواب (Questions and Answers).

أسلوب السؤال والجواب أبلغ التأثير في قلوب المخاطبين نرى هذا كثيراً من أحاديثه النبوية. عن أبي هريرة (ر) قال قال رسول الله ﷺ ألا أدلكم على ما يمحو الله الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط (رواه مسلم).

#### ز - الاعتماد على التجربات (Depending on experience).

مبينا تجربات نفسه أمام الطلاب يجذبهم المعلم إلى ما يروم من الموضوع. وفي الأحاديث نطلع على عدة من تجرباته ﷺ خصوصاً حين أسري وخرج به إلى السماء

## الشخصية

١ - عن سمرة بن جندب (ر) قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص . وإنه قال لنا ذات غداة : إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالوا لي أنطلق وإني انطلقت معهما إلى آخر الحديث. (رواه البخاري).

## ح - منهج التربية العملية (Practical education system).

هذا من المناهج العصرية تقوم به الجامعات والكليات بشكل جديد، نسرده له مثالا يدهش أذهانها بحسن بيانه. عن عبد الله بن مسعود (ر) قال خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا عنه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط . فقال : وهذا الإنسان وهذا أجله محيطا به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا (رواه البخاري).

## الصورة:

الخط الأوسط في المربع هو الإنسان وامتداده إلى خارج المربع هو الأمل والمربع نفسه هو الأجل يحيط بالإنسان من كل جانب والخطوط الصغار هي أعراض الحياة التي تحل بالإنسان في حياته الدنيوية فإن نجى من مصيبة أخذته أخرى وإن سلم من الجميع حل به الأجل المحيط به من كل جانب قبل أن ينال أمله البعيد عنه، فالإنسان يرنو دائما إلى الأمل وتتقاذفه الأعراض وبينما هو كذلك يحل به الأجل قبل بلوغه الأمل.

يبين النبي ﷺ الفكرة الصعب فهمه بوسيلة سهلة يفكر عنها عظماء هذا الزمان وينفذونها في مجال التربية العصرية ، فالنبي ﷺ قد اهتم بهذه الوسائل العملية الدراسية قبل أن يعرفها العالم بزمان طويل.

## ط - تقديم الحقائق الأصلية (Presentation of basic truths)

ربما يقدم المعلم الحقائق الأصلية والأفكار البديهية أمام الطلاب ليكون في قلوبهم أثر عظيم لا ينسى بكر الزمان.

عن علي (ر) قال كنا في جنازة من بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه محصرة فنكس وجعل ينكت بمحصرته ثم قال : ما منكم من أحد إلا وكتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ؟ فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق

له ( المتفق عليه) فقوله " كل ميسر لما خلق له" من أبلغ الحقائق الكونية تعجز الأقلام عن بيانها ومن أمثلته قوله ﷺ اليد العليا خير من اليد السفلى وقوله لا تنظروا إلى من هو فوقكم ولكن انظروا إلى من هو أسفل منكم.

التفصيل بعد الإجمال وعكسه (Annotation after summarization and vice versa) هناك طريقتان مطردان للبيان والإبراز . الأول طريق التفصيل بعد الإجمال والثاني عكسه نجد كليهما في أحاديث النبي ﷺ عن ابن عمر(ر) سمعت رسول الله ﷺ يقول كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته فكلكم راع ومسئول عن رعيته ( المتفق عليه).

## الرسول اليتيم

محمد صلاح الدين الوافي<sup>١</sup>

إن من حكمة الله البالغة أن جعل خاتم أنبياءه محمدا صلى الله عليه وسلم يتيمًا فاقد الوالدين منذ صغره ثم أن آواه الله إلى كنف من يكفه وجعله سيدا ومثالا لجميع العالمين. واليتيم: الانفراد أو الإبطاء: قيل منه أخذ اليتيم لأن البر يبطئ عنه<sup>٢</sup>. قال العلامة الألوسي، اليتيم: انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه<sup>٣</sup>. واليتيم: من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال<sup>٤</sup>. فإن حال اليتيم هو منتهى الضعف وانعدام الحيلة، وقد بدأ محمد صلى الله عليه وسلم حياته يتيما. والملك والسيادة هو ذروة السلطة المادية، وقد انتهت حياته إليها. وقد تقلب حاله من صبي يتيم إلى لاجئ مضطهد ثم إلى سيد لأمة - بالمفهوم الديني والدينيوي - بكل ما فيه من تجارب وتقلبات وتغيرات من ضياء وظلام، من غنى وفقر، من ارتقاء وانحدار. فقد جعله الله يقاوم محن الدنيا ويخرج منها سالما ليكون مثالا يقتدى به في كل مرحلة من مراحل الحياة. وقد آواه الله وأيده وهداه حين وجده يتيما ضالا، فقال (ألم يجدك يتيما فآوى) ❖ ووجدك ضالا فهدى) [سورة الضحى: ٦، ٧]

## الطفل اليتيم

ولد محمد صلى الله عليه وسلم يتيما لم يذق حب الوالد وحنانه طرفة عين، لأن أباه عبد الله بن عبد المطلب قد توفي وهو في بطن أمه. روي أن عبد المطلب أرسل عبد الله إلى المدينة يمتار لها تمرًا فمات بها<sup>٥</sup>، وقيل: بل خرج تاجرا إلى الشام فأقبل في غير قریش، فنزل بالمدينة وهو مريض، فتوفي بها. ودفن في دار النابغة الجعدي<sup>٦</sup>. قال أكثر المؤرخين بأن وفاته كانت قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه

<sup>١</sup> . باحث، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي.

<sup>٢</sup> المنجد في اللغة

<sup>٣</sup> تفسير روح المعاني للعلامة الألوسي: سورة الضحى

<sup>٤</sup> المنجد في اللغة

<sup>٥</sup> تفسير روح المعاني: سورة الضحى

<sup>٦</sup> الرحيق المختوم: صفى الدين المباركفوري ص: ٦٠

وسلم. وقيل: بل توفي بعد مولده صلى الله عليه وسلم بشهرين<sup>١</sup>. أيا كان، لم ير النبي صلى الله عليه وسلم أباه قط.

ولم يرث هذا اليتيم الفقير من أبيه كثيرا، بل جميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال، وقطعة غنم وجارية حبشية تدعى أم أيمن بركة، حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٢</sup>

### المرضعات يابن اليتيم

ولما علم جده عبد المطلب بولادة آمنة دخل به الكعبة ودعا الله وشكر له ثم التمس لحفيده اليتيم المرضع على عادة الحاضرين من العرب. وكانت المرضعات يابينه ولا يقبلنه بسبب يتمه، يقلن: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده! ووجد عبد المطلب أخيرا حليلة بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر فأرسله معها إلى البادية.

كانت حليلة تحدث: "قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه! إذا قيل له إنه يتيم. وذلك أننا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول يتيم! ما عسى أن تصنع أمه وجده! فكنا نكرهه ذلك. فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري. فلما أجمع الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعا، والله لأذهين إلى ذلك اليتيم فلاخذته. قال، لا عليك أن تغلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته. والله ما حملني على أخذي إلا أنني لم أجد غيره"<sup>٣</sup>

فأسبل الله سبحانه على حليلة السعدية وعلى أهلها من معروفه و عطاياه أضعافا مضاعفة، أكثر مما يوجد من أب أو أم.

### يتيم الأبوين

وبعد ما عاد محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمه في مكة بعد غربة عنها دامت قريبا من خمس سنوات، بدأ حياته مع أمه الحنين آمنة بنت وهب التي كانت في غاية الشوق إليه. لكن لم تبق هذه العيشة الهنيئة التي ذاق الرسول صلى الله عليه وسلم فيها حنان أمه وعطفها

<sup>١</sup> نفس المصدر

<sup>٢</sup> صحيح مسلم ٢ - ٩٦

<sup>٣</sup> السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام: عبد الملك بن هشام، ص ١-١٠٣

وحبها ورعايتها ما جعله في أشد تعلق بأمه، إلا عدة شهور أو سنة واحدة على الأكثر حتى غابت عنه صلى الله عليه وسلم فجأة إلى يوم القيامة.

وذلك أن أمه آمنة قررت على رحلة مع ابنها لزيارة قبر أبيه والعيش مع أخواله بني النجار لفترة وجيزة. وكانت معها أم أيمن تحضنه. فأقاموا عند بني النجار شهرا. وفي طريق عودتهم إلى مكة مرضت آمنة مرضا شديدا وكانوا في الأبواء بعيدا عن المدينة حوالي ١٥٠ كيلو مترا. فتوفيت أمه صلى الله عليه وسلم في الطريق<sup>١</sup>، ولم يكن معه أحد سوى أم أيمن فدفنتها. وبذلك صار صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين.

تَخَيَّلْ هذا الصبيَّ اليتيم، رأى أمه تموت بين يديه في الصحراء ولم يكن معه إلا امرأة جبشية! ولم ينس ذكر أبيه من قلبه، وصورة قبره لم يزل أمام عينيه! وهو لم يتجاوز من عمره إلا ست سنوات! وقد ضاع منه ملجأه الحبيب ومأواه الوحيد! وكان صلى الله عليه وسلم في أشد تعلق بذكرى أمه حتى في أيامه الأخيرة من حياته. وقد روي "لما مر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في عمرة الحديبية بالأبواء قال: إن الله قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فأتاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، فقيل له فقال: أدركتني رحمته فبكيت"<sup>٢</sup>.

### في كفالة جده

وقد وقع خبر وفاة آمنة على جده عبد المطلب، بل على جميع أهل مكة كالصاعقة، وشق على الجد الشيخ يُتَم حفيده في هذه السن الصغيرة فاحتضنه في كنفه وجعله تحت رعايته ليعوّضه فقدان كل من الأب والأم. وبقيت أم أيمن قائمة على خدمته. وكذلك آواه الله إلى ذلك الصدر الحاني. وكان يفرش له عباة حبا وتعلقا بحفيده اليتيم محمد صلى الله عليه وسلم. والصبي هذا لا يلعب مع الصبيان ولكن يجلس بجوار جده ليستمع إلى أحاديث سادة قريش. وكان عبد المطلب لا يدعه لوحدته، ويؤثره على أولاده ويقول لهم: 'دعوا ابني هذا فوالله إن له لشأنا، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع.'<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> محمد رسول الله : محمد رضا : ص ٣٠ / سيرة ابن هشام : ص ١ - ١٠٦

<sup>٢</sup> الطبقات الكبرى لابن سعد: ص ١-١١٧

<sup>٣</sup> سيرة ابن هشام : ص ١ - ١٠٦



وما طالت هذه الكفالة المباركة حتى توفي جده عبد المطلب لثمانى سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره صلى الله عليه وسلم<sup>١</sup>

### في رعاية عمه الفقير

وبعد ما انتقل عبد المطلب إلى جوار ربه كلفه عمه الشقيق أبو طالب، فألقى الله سبحانه وتعالى محبته في قلب عمه، فقدمه على أبنائه وبالغ في إكرامه. وكان أبو طالب مقلا من المال، ومع ذلك كان يخصصه صلى الله عليه وسلم بالطعام حيث لا يمد صلى الله عليه وسلم يده المباركة إلى الطعام مع الصبيان.

وكان يقرب إلى أولاده طعامهم فيجلسون وينتهبون ويكفّ ذاك الصبي اليتيم يده لا ينتهب معهم. وكان صلى الله عليه وسلم، كما قالت أم أيمن حاضنتها، يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربه فر بما عرضنا عليه الطعام فيقول لا أنا شعبان شعبان<sup>٢</sup>

وكان أبو طالب لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرج فيخرج صلى الله عليه وسلم معه، فكان أبو طالب يدا حانية له أحبه حبا شديدا لا يحبه ولده. فكذاك ربي الله هذا الولد اليتيم وأعدّه فأحسن إعداده ليكون سيذا للعالمين كافة، ومثالا للأمة الإسلامية جميعا.

### اليتيم الفقير يرعى الغنم لأجل طعامه

وكان صلى الله عليه وسلم يعرف الأعباء في بيت كفيله، فأراد أن يخففها ففكر في عمل يسد به حاجته ويساعد به عمه، ولم يتجاوز الولد اليتيم إلا ثمانية سنوات من عمره. ولم يكن في مكة عمل للأولاد الصغار إلا راعي الغنم، وهذا العمل لا يعمل به إلا الفقراء. فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم راعيا فقيرا يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة<sup>٣</sup>، بعد ما كان قبل أشهر يجلس بين سادة قريش الأغنياء.

وهذا هو الإعداد الرباني لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ليتعلم الحياة من صغره ويعرف الغنى والفاقة، ويعرف السيد والفقير. وكذلك تحمل صلى الله عليه وسلم مسؤوليته من عمره الثامن. وما زال صلى الله عليه وسلم يكتسب بهذه الوظيفة إلى أن بلغ عمره ١٥ سنة. واشتغل بعد ذلك بالتجارة حتى الخامس والثلاثين من عمره.

<sup>١</sup> الرحيق المختوم للمباركفوري : ص ٦٧

<sup>٢</sup> عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعلامة العيني : ص ٩ - ٣٩٧

<sup>٣</sup> صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٢٢٦٢

## لم جعل الله يتيما فأوى؟

ومما لا شك فيه أن الله الحكيم سبحانه هو الذي رباه يتيما منذ صغره في رعاية من يريده من عباده ليجعل ختاماً لسلسلة الأنبياء والمرسلين، وليكون إنساناً كاملاً قبل النبوة وبعدها. فقد الله يتمه فأيواءه نعمة من عند الله سبحانه حيث قال (ألم يجدك يتيماً فأوى) [سورة الضحى : ٦] وقال (أما بنعمت ربك فحدث) [سورة الضحى : ١١] كما قال الله تعالى حكاية عن فرعون لموسى عليه السلام حيث رباه في قصره الملكي (ألم نربك فينا وليداً) [سورة الشعراء: ١٨]

فكان أول أمره صلى الله عليه وسلم في رعاية حليلة السعدية، رضيت باليتيم حين تأباه غيرها، ثم في حب أمه سنة واحدة، وبعد ذلك في كنف جده الحاني ، سيد قريش، لمدة سنتين، ثم في رعاية عمه الفقير المقل لسنوات طوال. ونرى حكماً بالغة ودروساً هامة في كونه صلى الله عليه وسلم يتيماً وفي عيشه في كفالات عديدة، فلنختصر

- لنلا يكون لأحد منة سوى كفالة الحق تعالى
- ليعرف صلى الله عليه وسلم من تتابع الأموات أمامه، أن هذه الدنيا فانية ليست تبقى على أحد
- وقد يكون حكمته تعالى تقتضي أن يكون نبياً بعيداً عن التدلل فيأدبه ربه فيحسن تأديبه
- ليتعلم الحياة منذ صغره ويعرف الغنى والفاقة ، والسيد والفقير
- ليتعلم تحمل المسؤولية والمساعدة والمشاركة في الأمور. فقد اكتسبها من رعاية الغنم، كما اكتسب منها الصبر والتحمل، واليقظة، والقدرة على إمساك زمام الأمور وجمع الشتات.
- ليعرف الزهد والكفاف والتباعد عن الدنيا ليكون نموذجاً للأمة في الامتناع عن التكالب على الدنيا
- وقد يكون من حكمة الله تعالى أن يجعله وحيداً لا أخ له شقيق كما لم يعيش له الأبناء من أولاده. (ولا ننسى ما نسبت الشيعة إلى علي رضي الله عنه، وهو ابن عمه دون شقيقه)

- ولم يجعل الله يتيما ممقتا على قومه ومغضبا عليهم لحرمان الحب والحنان بل جعله في رعاية من يحبه حبا لا مثيل له، فتربى في كنفهم. ولذا صار صلى الله عليه وسلم رغم يتمه وفقره سيد شباب قريش حيث قال عمه عند خطبته خديجة رضي الله عنها: " إن ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل شرفا ونبلا وفضلا، فإن كان في المال قلٌّ فإن المال ظل زائل، أمر حائل وعارية مستردة"<sup>١</sup>. والله أعلم ولنتمثل بقول أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه      ثمال اليتامى عصمة للأرامل

<sup>١</sup> نور اليقين : خضري بك : ص ١٢

## الرسول الأمي صلى الله عليه وسلم

عبد السلام الفيضي جولد

قال ﷺ الله تعالى في محكم تنزيله " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين " (الجمعة- ٢)  
قال سيّد الورى صلى الله عليه وسلم " إنّ أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب " (صحيح البخارى)

الأميّ منسوب إلى أمة العرب لما أتتهم أمة أميون لاكتاب لهم ولايقرأون كتابا ولايكتبون (التفسير الكبير ٣/٣٠) أو نسبة للأمة التي ولدته (التفسير المنير ٢٨/١٨٣) لأنّ الأميّ يكون على هيئته يوم ولدته أمّه من عدم قدرة القراءة والكتابة .  
فالأميّ من لايقراً ولايكتب . كان النبيّ صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه من الأميين كما تبين الآية المذكورة والحديث السابق. ومن الحكمة الربانيّة أن يبعث رسولا أمياّ لدلالة الناس على طريق الخير والرشاد.

### الحكمة في الأميّة

ما الحكمة في بعث الأميّ لإيصال رسالة الإسلام إلى الأميين؟ أجاب الإمام الماوردي رحمه الله لهذا السؤال بثلاثة وجوه. أحدها موافقته ما تقدّمت به بشارة الأنبياء. والثاني مماثلة حاله لأحوال أمته. والثالث انتفاء سوء الظنّ عنه في تبليغه وتعليمه ما أوحى إليه من القرآن والأسرار. (التفسير المنير ٢٨/١٨٧)

القرآن الكريم الذي أتى به الأميّ الذي لم يمارس القراءة والكتابة هو الآية العظمى لرسالته صلى الله عليه وسلم. كان العرب في القرن السادس ارتقوا ذروة الأدب لاسيما الشعر. فلو جاء به كاتب أو شاعر لادّعى أناس أنّه ابتدعه بقوّته الفطريّة والعقليّة ووجدوا وسيلة لتكذيبه. ولذا سدّ الله جميع الفجوات، لأنّه صلى الله عليه وسلم لم يكن شاعرا كما قال تعالى "وما علّمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين " ولا كاتباً حتّى يدّعى أنّه جمع

من كتب الأوّلين كما بيّن سبحانه "وما تتلو من كتاب ولا تخطّه بيمينك" (العنكبوت-٤٨) أليس يكفي لهم دليلاً أنّه عاش بينهم أربعين سنة أمّياً لا تجربة له في القراءة والكتابة؟

### الأمّية جمال للرسول

الأمّية عيب ونقص في كلّ مجال من مجالات الحياة الإنسانية. كثيراً ما يسخر ويحقر الأمّي أمام المجتمع. ولكن كانت الأمّية جلالاً وجمالاً للرسول صلّى الله عليه وسلّم. عاش بين البلغاء والشعراء بما يفوقهم من الكلام الجذاب الزّاهر بالمحسنات اللطيفة والمعنوية. ووقع منه ما يوهّم أنّه شعر في أسلوب بديع اتفاقاً ومصادفة؛ لعلّ الله أراد أن لا يعطو عليه أحد من الخلق في شيء من الأشياء حتى في الشعر.

ومن أحسن ما يوافق هذا المقام الالتفات إلى وقعة حنين. ففي هذه الغزوة كان الجنود المسلمون أغلبيةً والكفار أقليةً بعكس سائر الغزوات. نتيجةً لليقين النفساني المتجاوز أصاب المسلمين صدمة خفيفة في أوّل الأمر حتى فرّ كثير منهم إلّا الرسول وبعض أصحابه الذي وسعه عدد الأصابع. وفي هذه الحالة ظهرت الجراءة والشجاعة في وجه الرسول وتقدّم إلى صفوف المشركين بسيفه المسلول قائلاً:

أنا النبيّ لا كذب \* أنا ابن عبد المطلب

ليس هذا منحدرًا من لسانه بعد فكر عميق؛ بل وقع منه اتفاقًا مع أنه كان كافيًا لزلزال صدورهم، ونعاين ما يساوي هذا في الخندق عند شقّ الأخدود.

### ميزة خطابه صلّى الله عليه وسلّم

ومن العجب العجيب أسلوبه صلّى الله عليه وسلّم في الوعظ والخطابة. ومن الواضح الظاهر أنّ كثيراً من الخطباء لا طاقة لهم لإلقاء محاضرة جذابة إلّا بعد مزيد التهيؤ والاستعداد. ولكن الرسول الأمي ينصح أمته عند ما تمس الحاجة من غير تجهز واستعداد. كانت زاخرة بجميع أنواع البلاغة والفصاحة، وجامعة شاملة كما قال "نصرت بجوامع الكلم"، وممتلئة بالإنذار والتبشير، ومشمّلة على الأمثلة المستحسنة، وليس فيها خفاء للسامعين.

وبالجملة جعل خالق السموات والأرض الرسول الأمّي نورا للأمة وجعل الأمية دليلاً واضحاً على رسالته حتى أعلى كلمة الحق بلسان هذا الرسول بحيث لا يغلبها شيء أبداً الأبدية. يا عجباً رسول أمي يغلب الأمة جميعاً!

## الرسول الوالد

محمد علي شهاب الفيضي كومننا

أرسل الله تبارك وتعالى محمدا ﷺ رحمة للعالمين، كما قال في كتابه الكريم: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ). وكانت حياته ﷺ الشخصية والأهلية والاجتماعية مثالا للرحمة في الحياة الإنسانية. وكان حريصا على المؤمنين وجميع الخلق وهاديا إلى معالم الخير والسعادة. قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ). وقال أيضا: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) وقال رسول الله ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". وقال أيضا: إنما أنا لكم بمنزلة الوالد"، لأن رسول الله ﷺ أحسن إلى الناس وأفاض عليهم سجال الرحمة والهداية. وقال الشاعر:

أنت أم أب ما رأينا فيهما مثل حسنك قط يا سيدي خير النبي

كان رسول الله ﷺ يساعد الفقراء والمساكين ويضم المنبوذين والمهجورين ويغيب المكروبين والمكتئبين. وألف بين قلوب القوم بعد ما كانوا متناحرين متشاجرين. نجى الأمم من مضرات الدنيا والآخرة، وأحدث ثقافة جديدة، ونزه أصحابه وجعلهم من خيار الناس، وقال: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وصاروا كالكواكب النيرة الزاهرة. وكان تربية رسول الله ﷺ للأمة ولأولاده أسوة ومثالا. فكان يحبهم حبا شديدا. لكن يختار لهم الآخرة. يشهد لذلك أن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء جاءت إلى رسول الله ﷺ وطلبت خادما من بيت المال، وكانت تعبت وضعت بأمر البيت. فأرشد رسول الله ﷺ إلى التمسك بالأذكار عند النوم، لأنها تقوي الأبدان وتركي النفوس، ونصحها أن تسبح وتحمدل وتكبر.

وقال رسول الله ﷺ: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". وهذا إعلان هام من رسول الله ﷺ بأنه لا يمنع المحبة من أداء الحق، وأن السرقة لو وقعت منها – أعادها الله من ذلك – لا يمنع من تنفيذ الحد.

## مع أسرته وأقاربه وجيرانه

سيف الدين الفيضي<sup>١</sup>

## معاملة النبي ﷺ مع زوجاته

عاش النبي ﷺ عيشة مرضية مع زوجاته. وقد روي عنه ﷺ كثير من الأحاديث عن حسن تعامله وعشرته مع زوجاته، وكان النبي ﷺ يقبل عائشة ويقرأ القرآن في حجرها. وكانت عائشة تقول: كنت إذا هويت شيئاً تابعتني ﷺ وكنت إذا شربت من إناء أخذه فوضع فمه على موضع فمي وشرب، وكان ينهش فضلتي من اللحم الذي في العظم، وكان يتكئ في حجري ويقرأ القرآن. عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا ضرب خادماً ولا امرأة، كان رسول الله ﷺ إذا خلا بنسائه ألين الناس وأكرم الناس ضحاکا بساماً. قال المناوي رحمه الله: كان من أمزحهم إذا خلا بنحو أهله (وسائل الوصول) وكان مع أصحابه وأزواجه كواحد من الناس في حسن المعاشرة. عن عائشة قالت: حدث رسول الله ﷺ ذات ليلة نساءه حديثاً فقالت امرأة فيهن: كأن الحديث حديث خرافة. فقال: أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من عذرة أسرته الجن في الجاهلية ومكث فيهم دهرًا ثم رده إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى من الأعاجيب فقال الناس: حديث خرافة.

عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. عن عائشة: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعنها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة. فيقول: إنها كانت وكان لي منها ولد. عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. وفي فضلها قال ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

<sup>١</sup> محاضر، كلية أنوار الإسلام العربية، تيروركاد، ملايرام.

## الشخصية

والناظر إلى سيرة المصطفى ﷺ يجد أنه كان يقدر المرأة ويوليها عناية فائقة. مرة دخل النبي ﷺ على صفية وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي- أي على سبيل الإهانة والاحتقار، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة.

وكانت صفية مع رسول الله ﷺ في سفر وكان ذلك يوماً فأبطأت في المسير فاستقبلها رسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: حملتني على بعير بطيء. فجعل رسول الله ﷺ يمسح بيديه عينيها ويسكتها (النسائي). وعن النعمان بن بشير (ر) قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني أنفذتك من الرجل. غضب مرة مع عائشة فقال لها: هل ترضين أن يحكم بيننا أبو عبيدة بن الجراح؟ فقالت: هذا رجل لن يحكم عليك لي. قال: هل ترضين بعمر؟ قالت: لا، أنا أخاف من عمر. قال: هل ترضين بأبي بكر؟ قالت: نعم. فجاء أبو بكر فطلب منه رسول الله ﷺ أن يحكم بينهما، فدهش أبو بكر وقال: أنا يا رسول الله؟ ثم بدأ رسول الله ﷺ يحكي أصل الخلاف فقاطعته عائشة قائلة: اقصد يا رسول الله (أي قل الحق) فضربها أبو بكر على وجهها فنزل الدم من أنفها وقال: فمن يقصد إذا لم يقصد رسول الله ﷺ؟ فاستاء الرسول ﷺ وقال: ما هذا أردنا. وقام فغسل لها الدم من وجهها وثوبها بيده. وكان إذا غضبت زوجته وضع يده على كتفها وقال: اللهم اغفر لها ذنبها وأذهب غيظ قلبها وأعدها من الفتن. عن عائشة قالت: ليدخل علي رسول الله ﷺ رأسه وهو في المسجد فأرجله. (مسلم). كان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث (البخاري). عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع فيها - تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها. وكان يساعد أزواجه في المنزل. سئلت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قال: كانت في مهنة أهله. (البخاري). عن عائشة قالت: إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ (مسلم).

وأمر النبي ﷺ الأزواج أن يحضروا متطلباتها في قوله: أطعم إذا طعمت وأكس إذا اكتسبت. (الحاكم). وقال ﷺ: إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك.



(البخاري). و شدد في العدل بين الزوجات كما قال "من كان له امرأتان يميل لإحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل". وكان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، ويصطحب زوجته في السفر. وكان إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها (متفق عليه). عن عائشة أن النبي ﷺ قال لي: تعالي أسابقك فسابقته فسبقته على رجلي وسابقني بعد أن حملت اللحم وبدنت فسبقتني وجعل يضحك وقال: هذه بتلك (أبو داود). عن عائشة قالت: يا رسول الله كل نساءك له كنية غيري، فكانها أم عبد الله. وقد احترم هواياتها في كثير من الأحيان، فعن عائشة كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان النبي إذا دخل ينقمعن منه فيسر بهن فيلعبن معي (الأدب المفرد). وعن عائشة قالت: زارتنا سودة يوما فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها إحدى رجله في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها خزيرة فقلت: كلي. فأبت فقلت: لتأكلن أو لأطخن وجهك. فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهها فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها ليستقيد مني فأخذت من القصعة شيئا فلطخت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك. وعن عائشة قالت: كان ﷺ إذا مرض أحد من أهل بيته نفث عليه بالمعوذات (مسلم). وهذه كلها أمثال قليلة لحسن معاملة النبي ﷺ مع زوجاته الطاهرة في حياته الجلية .

#### معاملة النبي ﷺ مع أبنائه وأحفاده:

وَدَّ النبي ﷺ أبنائه وأحفاده وداً شديداً. نرى في آثاره كثيراً من مظاهر المحبة لأبنائه وأحفاده. ونورد هنا بعض الآثار منها. فكان النبي ﷺ إذا رأى بنتها فاطمة قام لها مرحبا وبسط الرداء لها وأجلسها إلى جانبه. عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئا فلما رآها رحب بها فقال: مرحبا يا بنتي. ثم أجلسها عن يمينه أو شماله. وأيضا كان يقول لها: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ ومما قال عنها مرة أخرى: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني . وكان ﷺ كثيرا ما يقبل عرف ابنته فاطمة الزهراء وكان ﷺ كثيرا ما يقبلها في فمها. وحث النبي ﷺ على إظهار اللطف والرحمة على الأبناء. فعن أبي هريرة: قيل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التيمي جالسا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يرحم. وحينما توفيت أم كلثوم في السنة التاسعة من الهجرة شاهد الصحابة النبي ﷺ وقد جلس على قبرها وعيناه

## الشخصية

تدمعان. وقد قال لعثمان (ر) بعد دفنها: لو كان عندنا ثلاثة لزوجناكها . لم يشغله عن بناته مشاغل بل كان يفكر فيهن وهو في أصعب الظروف. فعند ما أراد النبي ﷺ الخروج لبدر كانت رقية مريضة فأمر النبي زوجها عثمان أن يبقى في المدينة ليمرضها وضرب له بسهمه في مغنم بدر وأجره عند الله.

وعندما حدثت غزوة بدر وانتصر المسلمون فيها بعث أهل مكة في فداء أسراهم، وبعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع ولم يكن قد أسلم وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، قلادة لها كانت قد أهدتها إياها خديجة عند زواجها. فلما رآها الرسول ﷺ عرفها ورق لها رقة شديدة وقال للمسلمين: إن رأيتم أن تردوا عليها قلادتها ومالها وتطلقوا أسيرها فافعلوا. فقالوا: نعم. فأطلقه النبي ﷺ بعد أن اشترط عليه أن يبعث بزینب إليه ففعل. ثم ردّ النبي ﷺ زينب إليه في المدينة بعد أن قدم إليها يعلن إسلامه.

لقد رزق الله الرسول ﷺ قلبا رقيقا وحنانا دافقا. فبعد وفاة ابنه إبراهيم ذرفت عيناه ، وقال له عبد الرحمن بن عوف (ر): وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة لمن أتبعها بأخرى. وقال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا بما يرضى ربنا وإنا لفرأقك يا إبراهيم لمحزونون. (البخاري). وعن أنس بن مالك (ر): ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم مسترضعا له في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن وكان ظنره قينا فيأخذه فيقبله فيرجع. ومع هذه العلاقات الوثيقة قد شدد النبي ﷺ على أقربائه في الأمور الدينية بلا تسامح. وقد قال ﷺ في حديث طويل: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. (البخاري)

ومما كرم أحفاده ما رواه أبو قتادة الأنصاري: أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها. وأحب النبي ﷺ حفيديه الحسن والحسين (ر) حبا شديدا. فعن أبي هريرة (ر) قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رقيقا ويضعهما على الأرض فإذا عاد عادا حتى إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذه . وعن عدي بن ثابت قال: سمعت البراء يقول: رأيت النبي ﷺ والحسن على عاتقه وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه. وقال أيضا: أنا من الحسين والحسين مني. وقد رغب في تأديبهم بمكارم الأخلاق. فقد روي عنه ﷺ أنه قال: أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم.

معاملة النبي ﷺ مع الجيران وموقفه منهم :

أظهر النبي ﷺ أخلاقه الحميدة على جيرانه وأكد على رعايتهم كعادته على الخلائق. وقد قال الله تعالى : "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً" (النساء ٣٦). ورويت أحاديث كثيرة من النبي ﷺ على رعاية الجيران وتشجيعاً على عنايتهم. نبحت بعضاً منها، روي عن ابن عمر رض قال ﷺ ما زال جبريل يوصيني بالجاري حتى ظننت أنه سيورثه. وعن أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره ببيئته. وأيضاً عنه قال النبي ﷺ: يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة. عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ الأصحاب عند الله خيرهم لأصحابه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره. عن النبي ﷺ قال: ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع. وعن أبي هريرة رض قال كان من دعاء النبي ﷺ "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقام وإن جار الدنيا يعول.

وقد قال أصحابه ﷺ أيضاً عن أقوال النبي ﷺ عن الجيران موقفه منهم. عن خارجة بنت زيد ثابت رض دخل نفر على زيد بن ثابت، وقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ، ماذا أحدثكم؟ كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي، فكتبته له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا. وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا. وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا. فكل هذا أحدثكم عن النبي ﷺ (الترمذي). عن أبي ذر رض أوصاني خليلي ﷺ بثلاث (١) اسمع وأطع ولو لعبد مجدع الأطراف. (٢) وإذا صنعت مرقة فأثر ماءها ثم انظر أهل البيت من جيرانك فأصبهم بمعروف. (٣) وصل الصلاة لوقتها.... (الحديث)

عن المقداد بن الأسود عن الرسول ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً وهو يحدثهم ما تقولون في الزنى، قالوا حرام حرمه الله ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بحليلة جاره. قال: فما تقولون في السرقة، قالوا: حرم الله ورسوله وهي حرام إلى يوم القيامة. قال: لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من جاره. عن ابن مسعود رض قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني حليلة جارك.

## الشخصية

قد أكثر النبي ﷺ في ذكر التودد مع الجار حتى أنه قرنه بالإيمان وإبعاد الأذى عن الجار: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره. يقول أبو هريرة رض، قال رجل: يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصدقها وصيامها غير أنها تؤذي جارتها. قال: هي في النار. قال يا رسول الله!. فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وأنها تتصدق بالأنوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها. قال: هي في الجنة. قال النبي ﷺ: من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم ما آمن بي.

إن من كمال خلق المرء حسن صحبته ومعاشرته لأهله وكمال أدبه ومخالطته لغيره. وقد كان الحبيب مضرب المثل في حسن الصحبة وجميل المعاشرة وأدب المخالطة. وصف علي كرمه الله وجهه للنبي ﷺ في قوله: كان رسول الله ص أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة.

### المراجع:

- الأدب المفرد
- الأنوار الجلية في الشمائل المحمدية
- الترغيب والترهيب
- رياض الصالحين
- الشمائل المحمدية
- مواقع الانترنت
- نبي الرحمة
- هذا الحبيب محمد ﷺ
- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول

## مع البائسين والمنكوبين

نعمان الفيضي لأريباري

في مرحلة طارئة ارتجف النبي ﷺ حينما اعتنقه جبريل عليه السلام داخل حراء تمهيدا للبعثة النبوية وذهب إلى حليته الحنونة السيدة خديجة بنت الخويلد (ر) وهو يشكو حمى وهو يقول "زملوني! زملوني!" وقتئذ تصير السيدة خديجة حبيبة حنونا وصاحبة مشجعة وزوجة فاضلة لبعل كريم. وهي تقوم بتسليته وتقول " كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. أحسن تجاوب يتمناه كل حليل ألوف!

نبينا نبي الرحمة والرفقة، نبي أنجى الله بيده المعدوم وسلى بيده المنكوب ونصر به كل بائس وفقير، وصار ملاذا لكل خائف ومنبوذ، وقال " سلمان منا أهل البيت".

نبينا ﷺ كان يتعامل مع الجميع ببالغ العناية والاهتمام حتى يظن الرجل أنه من مقربيه وأنه يحبه على غيره. وهذا كان عبارة عن حسن اختلاطه مع الناس صغيرهم وكبيرهم رئيسهم ورعيتهم شريفهم ووضعهم كما أرشده القرآن المجيد " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين". أي لين الجانب. وكان ﷺ كثير الشفقة على من بعث إليهم وكان يتدخل في أمورهم ويواسيهم ويحل مشاكلهم لأن خلقه القرآن الكريم والقرآن يجري على لسانه وجوارحه.

ولا مندوحة من الذكر بأن النبي ﷺ كان كثير الحنان والشفقة على النساء والصبيان، ولا يوافق على أي أمر يشق عليهما ويشتد بهما. وكان ينصح بأن الخيار خياركم لنسائكم، وبأن لا تسرع ظهرك وفي ردك امرأة، لأنها مثل الزجاجة سرعان ما تنكسر. وفي كل أطوار الحياة رفعها ورفع مكانتها وجعلها جانبا ممنوع الإهمال في الحياة الاجتماعية، وأفاد بأن فيها الأمومة والأختية والزوجية، لو قمت معها لقامت ولو قمت تسويها لكسرتها لأنها خلقت من الضلع المعوج، فإياك والكسر. أليس أمامنا خطبة النبي ﷺ يوم النفر " واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإن لهن عليكم حقا ولكم عليهن حقا".

## الشخصية

وإن هذه المرأة كانت قبل مثل البضاعة الكاسدة عند العرب لاتستحق شيئا، وهي منكوبة موؤودة لايسأل عنها أحد. ولما طلع عليهم نبي الرحمة أنجاها ورفع قدرها وأمر بخير التعامل معها وجمع فيها معظم الخير وأعلن بأن تحت قدميها الجنة.

وكما يشهد له التاريخ أن ذلك العصر كان متمسما بالاستعباد كثيرا، مع أن الشارع أراد أن يزيل هذه النزعة تدريجيا من المجتمع العربي بل العالمي. وكان الرجل يعمل تحت الآخر وهو يشدد عليه ويضربه ولا يتعامل معه بعين اللطف. فأرشدهم الرسول ﷺ وقال "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا" وذات يوم حينما سمع ضرب أبي مسعود (ر) التفت إليه وقال "اعلم يا أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام". هذه كلها عبارة عن مكارم أخلاقه ﷺ .

وواجه الإسلام هذا الاستعباد وقام بإبادته شيئا فشيئا. أولا وعد على العتق جوائز وأجورا وحضّ الناس عليه جميعا ثم جعله كفارة لمعظم الكبائر حتى أباد الاستعباد قلبا وقالبا. فالإسلام هو الذي ساق من الاسترقاق فرجا ومخرجا. والنبي ﷺ هو الذي أطلق القيود بين الإنسان والآخر، لأنه ﷺ رأى العبد والسيد بعين السوية وقال لأبي ذر (ر) لما ساب عبده فعيره بأمه "إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم وخولكم (خدمكم) جعلهم الله تحت أيديكم".

إن الإسلام لم يبين سدا بين ذي المال والمسكين. ولم يدل سترا بين الوضيع والشريف والدائن والمدين. وبالإضافة إليه إنه أنكر المماثلة من جانب الغني، وقال "مطل الغني ظلم" - أي حرام على ذي المال تأخير ما استحق أداءه بغير عذر. وناشد الدائن بالحط عن المدين والتأجيل إلى الميسرة وقال "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة". وأذن بين الناس بأن عون الرجل في دابته وحمله عليها أو الرفع له عليها متاعه صدقة. كل ذلك بدون أي تفاوت بين هذا وهذا.

وكان النبي ﷺ رءوفا رحيفا بالمؤمنين، وعدّ الرجل الراحم رفيق القلب لكل ذي قربي ومسلم من أهل الجنة، واستطرد قائلا "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه".

وما الذي حمل أبا سفيان على قوله "أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكا قط... يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ﷺ. ويبيدي كل ذلك حسن ممارسته ومعاملته معهم وأصدق الحب وأروع الإحسان

إليهم وتدخله معهم بالسوي وأنه ما حمل على أحد بعمل ولا بقول ولا حتى بإشارة فثاروا إليه ﷺ بحبهم وتفانوا لأجله وتترسوا له في المعارك بحذافيرها.

وبالرغم من ذلك كله كان تخطيطه ﷺ الحربي ونظامه منطبقا على الجميع بالخير والرفقة، ولم يوافق على الآداب الحربية المعتادة من المثلة وإزهاق الروح شيئا فشيئا وما إلى ذلك. بل ناشدهم لتقليل الخسائر والإحسان إلى الأسراء وعدم نهب الأموال والممتلكات، والرفق

بالنساء والصبيان. وهذا ما أشار إليه المستر وليام مور في كتابه " Life of Muhammed" و"باقتراح خاص من النبي ﷺ تشرف مواطنو مكة والمدينة باستقبال الأسراء باهتمام بالغ ورعاية خاصة حتى أدى ذلك إلى أن قال أسير منهم "رحم الله أهل المدينة حملونا على الظهور ومشوا على الأقدام وأكلوا التمر وأطعمونا الرغيف".

وفي الظروف الحالية والتي يفتخر الفراعنة فيها بأعداد المعتقلين والقتلى والجرحى وبكمية الخسائر والأنقراض لأبد لهم من لفتة إلى الوراثة - إلى عهد النبي المصطفى ﷺ والإجراءات العسكرية التي تشرف بالقيام بها.

وأخيرا إنه ﷺ عاش بينهم كأب راحم وأخ ناصح وجار كريم وسيد خادم وملاذ لا يغلق بابه ولو لحظة. فصاروا له ﷺ كأبناء سامعين وإخوة متعظين وجيران فرحين وأتباع مطيعين وأصحاب لا يشغلهم شئ من إجابته ﷺ وقد سعد من قال:

كم أبرمت وصبا باللمس راحته وأطلقت أربا من ربة اللمم.

(بردة الإمام البوصوري)

## مع الأعداء الألداء

سليمان الفيضي<sup>١</sup>

(وإن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وخلقة، ولا يوجد له نظير في صفاته وأخلاقه في العالم. وحياته ﷺ أسوة حسنة لجميع الخلق في كل أمورهم. وهو رسول إلى جميع الخلق عامة لا إلى المسلمين خاصة. وهو للجميع رحمة وراحة كما قال الله تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين")

وكانت معاملته بجميع الناس باللطف والشفقة حتى بالأعداء وما وقع في فتح مكة يشير إلى هذا بينا. لما دخل ﷺ يوم فتح مكة على قريش وقد جلسوا بالمسجد الحرام، وأصحابه ﷺ ينتظرون أمره فيهم من قتل وغيره. قال لقريش: ما تظنون إنني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا. أخ كريم وابن أخ كريم. فقال ﷺ: أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام. لا تثريب عليكم اليوم؟ اذهبوا فأنتم الطلقاء. وإن سعد بن عبادة (ر) كان معه في ذلك اليوم رايو رسول الله ﷺ، ولما مر على أبي سفيان وهو واقف بمضيف الوادي ولما حاذاه سعد، قال: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أو الحرب والقتال. اليوم تستحل الحرمة. اليوم أهل الله قريشا. فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه: يا رسول الله ﷺ. أمرت بقتل قومك فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا وأنه قال اليوم يوم الملحمة فأنت أبر الناس وأرحمهم فقال رسول الله ﷺ يا أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحة اليوم أعز الله فيه قريشا.

وقد انفرد صلى الله عليه وسلم بالمحاسن والمعارف والتودد والرفق وما ظهر منه في وقت ما شدة ولا غلظة على أحد إلا في أمر إلهي. وكان ذا خلق عظيم وليس غليظ القلب كما قال تعالى: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. وقد دخل كثير من الناس إلى الإسلام برأية معاملته الحسنة. وكان إسلام ثمامة بن أشال سيد أهل اليمامة بحسن معاملته ﷺ معه. لما ربط بسارية من سوار المسجد فسأل له رسول الله ﷺ ماذا عندك يا ثمامة. فقال عندي يا

١. محاضر، الجامعة النورية العربية، فيضاباد، كيرالا.



محمد خير. إن تقتل تقتل ذا آدم وإن تنعم تنعم على شاكر و غن كنت تريد مالا فسأل نعطه منه ما شئت، فتركه ﷺ حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة فقال ما قال قبل. فقال رسول الله ﷺ في المرة الثالثة : أطلقوا ثمامة فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد وأسلم. وقال والله يا محمد ما كان على الأرض وجه البغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب وجوه كلها التي والله ما كان من دين أبعض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ. والله ما كان من بلد أبعض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ. ثم صار ثمامة (ر) من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه. وهذا كله ثمرة حسن معاملة النبي ﷺ.

وكل من عرف بالنبي ﷺ حق المعرفة لا تبعه بغير سكن وكل من تصفح سيرة الرسول ﷺ يتضح له أنه حقيق بالمدح والثناء. وقد مدح النبي ﷺ أصحابه وأعداه كما روي : أن أبا جهل قال له أنا لا نكذبك ولكن تكذب بما جئت به. ولذلك جاء في القرآن الكريم: "فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون". وقد قال النضر بن الحارث لقريش محنجا عليهم ومسيئا خطاياهم. قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فعلا وأصحكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا جاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر. والله ما هو بساحر. هذا يشعر بحسن أخلاقه ﷺ.

وكان ﷺ لقريش أمينا وصادقا عند قومه قبل إتيانه بالإسلام، ولما جاء بالدعوة الإسلامية كان عندهم ساحرا وكذابا وأذوه ﷺ واحتمل رسول الله ﷺ إيذاءهم المستمر واحدة تلو أخرى بالصبر. ول يجد للعيش راحة في سبيل نشر الدين ولم ينعه هذه من دعوته ما عزمته قريش عليه من ملك ومال وجاه. وكان طريق دعوته مظلمًا وممتلئًا بالأشواك والأحجار وفي ذلك الزمان كانت الإنسانية قد انغمست في أعماق الظلام وكانت السيئات مستفيضة شائعة بين الناس ولكن قام فيهم بالدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، ووعاهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده. وذلك قدم رسول الله ﷺ بمعاملة الشريفة وبحسن معاشرته بالناس أمة صالحة وجعل الذين كانوا رعاة الإبل قاندين للأمم، والذين كانوا أكلوا حش الشارد مع الطبع المتنافر أحسن الناس خلقا وأفضل الناس منزلا فصار الذين لا يعلمون معنى الثقافة والحضارة ذوي الثقافة العالية والحضارة السامية.

## شمائل النبي عليه الصلاة والسلام

عمر الفيضي موديكود

فهو الذي تم معناه وصورته  
ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم  
منزه عن شريك في محاسنه  
فجوهر الحسن فيه غير منقسم  
(الإمام البوصري)

إن أبرز الأباذير الإنسانية على الإطلاق هو أبو القاسم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم الذي هو الإنسان الكامل وأفضل المصطفين الأخيار. أرسله الله تبارك وتعالى شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فهو منقذ البشرية من الضلالة والجهالة والمختوم به الرسالات السماوية ولقد خطى التاريخ بالعناية المتميزة من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بحكاية صفا بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ووصف محاسنه وشمائله حتى انهم ما تركوا شيئا من أخيار المصطفى ﷺ عن هيئته وسمته ولبسه وشرابه وغير ذلك لأنهم خريجو مدرسة النبوية وأشد حبا لله ولرسوله ﷺ. ثم بالاهتمام البالغ من التابعين ومن بعدهم بترسيم هذه الشمائل وتدوينها ونقلها من فم إلى فم وإن كانوا عاجزين في حصر جميع ما لحضرتهم ﷺ من الأوصاف الحميدة والخصال الطيبة حتى انه قد مضى على انتقال غضا طريا في القلوب والأسماع. أما نحن فلا يتيح لنا إلا ان نقبض قبضة من آثار هؤلاء السالفين البارزين وان نرتشف رشفة من تلك البحار الزاخرة. فعلى الله نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

يقول الشيخ يوسف بن اسماعيل النهاني (ر): إن في جميع شمائله ﷺ قوائد مهمة فمنها:-

١. التلذذ بصفاته العلية وشمائله الرضية صلى الله عليه وسلم
٢. التضرب إليه ﷺ واستجلاب محبته ورضاه بذكر أوصافه الكاملة وأخلاقه الفاضلة وهو أفضل وأكمل من مدحه بالقصائد.

٣. التعرض لمكافأته ﷺ على احسانه إلينا وانقاذه إيانا من ظلمات الضلال إلى أنوار الهدى، وهذه نعمة كبرى لا تمكن مقابلتها بشيء ولا يقدر على مكافأته عليها إلا الله تعالى.

٤. إن معرفة شمائله الشريفة يستدعى محبته ﷺ لأن الإنسان مجبول على حب الصفات الجميلة ومن اتصف بها، ولا أجمل ولا أكمل من صفاته ﷺ.

٥. إتباعه والافتداء به لمن وفقه الله تعالى فيما يمكن به الاقتداء كسخطه وحلمه وتواضعه وزهده وعبادته وغيرها من مكارم أخلاقه وشرائف أحواله ﷺ.

#### نسبه (ص) الشريف وطهارته

هو سيدنا محمد رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ومن علي كرم الله وجهه ان النبي ﷺ قال "خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى ان ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء".

وعن وائلة بن الأسقع (ر) قال: قال رسول الله ﷺ : ان الله اصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بي كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطاني من بني هاشم، وأمثال هذه الروايات كثيرة متوافرة.

#### أسماءه ﷺ الشريفة

الأخبار والآثار الكثيرة ناطقة بأسمائه ﷺ وعن حذيفة (ر) قال: لقيت النبي ﷺ في بعض طرق المدينة فقال: "أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبي الرحمة، ونبي التوبة، وأنا المقفى، وأنا الحاشر، ونبي الملاحم".

وسماه الله عز وجل في القرآن رسولان نبيا، أميا، شاهدا، مبشرا، نذيرا، داعيا إلى الله بإذنه، سراجا منيرا، رؤوفا، رحима، مذكرا كما قال في التهذيب وجمع الإمام محمد بن سليمان الجزولى (ر) في دلائل الخيرات من أسمائه ﷺ مائتين وواحدا وهي هذه: - ١. محمد ٢.

أحمد ٣. حامد ٤. محمود ٥. أحميد ٦. وحيد ٧. ماج ٨. حاشر ٩. عاقب ١٠. طه ١١. يس ١٢. طاهر ١٣. مطهر ١٤. طيب ١٥. سيد ١٦. رسول ١٧. نبي ١٨. رسول الرحمة ١٩. قيم ٢٠. جامع ٢١. مقتف ٢٢. مقفى ٢٣. رسول الملاحم ٢٤. رسول الراحة ٢٥. كامل

## الشخصية

٢٦. اكليل ٢٧. مدثر ٨. مزمل ٢٩. عبد الله ٣٠. حبيب الله ٣١. صفى الله ٣٢. نجى الله ٣٣. كليم الله ٣٤. خاتم الأنبياء ٣٥. خاتم الرسل ٣٦. محي ٣٧. منج ٣٨. مذكر ٣٩. ناصر ٤٠. منصور ٤١. نبي الرحمة ٤٢. نبي التوبة ٤٣. حريص عليكم ٤٤. معلوم ٤٥. شهير ٤٦. شاهد ٤٧. شهيد ٤٨. مشهود ٤٩. بشير ٥٠. مبشر ٥١. نذير ٥٢. منذر ٥٣. نور ٥٤. سراج ٥٥. مصباح ٥٦. هدى ٥٧. مهدي ٥٨. منير ٥٩. داع ٦٠. مدعو ٦١. مجيب ٦٢. مجاب ٦٣. حفي ٦٤. عفو ٦٥. ولي ٦٦. حق ٦٧. قوي ٦٨. أمين ٦٩. مأمون ٧٠. كريم ٧١. مكرم ٧٢. مكين ٧٣. متين ٧٤. مبين ٧٥. مؤمل ٧٦. وصول ٧٧. ذو قوة ٧٨. ذو حرمة ٧٩. ذو مكانة ٨٠. ذو عز ٨١. ذو فضل ٨٢. مطاع ٨٣. مطيع ٨٤. قدم صدق ٨٥. رحمة ٨٦. بشرى ٨٧. غوث ٨٨. غيث ٨٩. غياث ٩٠. نعمة الله ٩١. هدية الله ٩٢. عروة الوثقى ٩٣. صراط الله ٩٤. صراط مستقيم ٩٥. ذكر الله ٩٦. سيف الله ٩٧. حزب الله ٩٨. النجم الثاقب ٩٩. مصطفى ١٠٠. مجتبي ١٠١. منتقى ١٠٢. أمي ١٠٣. مختار ١٠٤. اجير ١٠٥. جبار ١٠٦. أبو القاسم ١٠٧. أبو الطاهر ١٠٨. أبو الطيب ١٠٩. أبو ابراهيم ١١٠. مشفع ١١١. شفيع ١١٢. صالح ١١٣. مصلح ١١٤. صادق ١١٥. مصدق ١١٦. صدق ١١٧. سيد المرسلين ١١٨. إمام المتقين ١١٩. قائد الغر المحجلين ١٢٠. خليل الرحمن ١٢١. بر ١٢٢. مير ١٢٣. وجيه ١٢٤. نصيح ١٢٥. ناصح ١٢٦. وكيل ١٢٧. متوكل ١٢٨. كفيل ١٢٩. مقيم السنة ١٣٠. شفيق ١٣١. مقدس ١٣٢. روح القدس ١٣٣. روح الحق ١٣٤. روح القسط ١٣٥. مهيمن ١٣٦. كاف ١٣٧. مكتف ١٣٨. بالغ ١٣٩. مبلغ ١٤٠. شاف ١٤١. واصل ١٤٢. موصول ١٤٣. سابق ١٤٤. سائق ١٤٥. هاد ١٤٦. مهدي ١٤٧. مقدم ١٤٨. عزيز ١٤٩. فاضل ١٥٠. مفضل ١٥١. فاتح ١٥٢. مفتاح ١٥٣. مفتاح الرحمة ١٥٤. مفتاح الجنة ١٥٥. علم الإيمان ١٥٦. علم اليقين ١٥٧. دليل الخيرات ١٥٨. مصصح الحسنات ١٥٩. مقيل العثرات ١٦٠. صفوح عن الزلات ١٦١. صاحب الشفاعة ١٦٢. صاحب المقام ١٦٣. صاحب القدم ١٦٤. مخصص بالعز ١٦٥. مخصص بالمجد ١٦٦. مخصص بالشرف ١٦٧. صاحب الوسيلة ١٦٨. صاحب السيف ١٦٩. صاحب الفضيلة ١٧٠. صاحب الإزار ١٧١. صاحب الحجة ١٧٢. صاحب السلطان ١٧٣. صاحب الرداء ١٧٤. صاحب الدرجة الرفيعة ١٧٥. صاحب التاج ١٧٦. صاحب المعفر ١٧٧. صاحب اللواء ١٧٨. صاحب المعراج ١٧٩.

صاحب القضيبي ١٨٠. صاحب البراق ١٨١. صاحب الخاتم ١٨٢. صاحب العلامة ١٨٣. صاحب البرهان ١٨٤. صاحب البيان ١٨٥. فسيح اللسان ١٨٦. مطهر الجنان ١٨٧. رءوف ١٨٨. رحيم ١٨٩. اذن خير ١٩٠. صحيح الإسلام ١٩١. سيد الكونين ١٩٢. عين النعيم ١٩٣. عين الغر ١٩٤. سعد الله ١٩٥. سعد الخلق ١٩٦. خطيب الأمم ١٩٧. قلم الهدى ١٩٨. كاشف الكرب ١٩٩. رافع الرتب ٢٠٠. عز العرب ٢٠١. صاحب الفرج عليه السلام.  
أما كنيته عليه السلام المشهورة أبو القاسم وكناه جبريل (ر) أبا إبراهيم وأفضل أسمائه عليه السلام محمد وهو المكتوب على ساق العرش وعلى قصور الجنة وغرفها وعلى نحور العور العين وعلى أوراق أغصان شجر الجنة واستارها وعلى ورق سدرة المنتهى وبين أعين الملائكة كما روى ابن عساكر عن كعب الأحبار (ر).

### خلقة رسول الله (ص) وجمالها

يقول القرطبي (ر) لم يظهر لنا تمام حسنه عليه السلام لأنه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت اعيننا رؤيته عليه السلام.

ونحكي ههنا ما نلتقطه من أحاديث متفرقة رويت في شمائل الرسول عليه السلام وقد كان عليه السلام حسن الجسم ليس بالطويل البائن (الظاهر طوله) ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق (الشديد البياض الخالي عن الحمرة) وكان عليه السلام مربوعا بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس (مجامع العظام كالركبة والمنكب) ولم يكن بالمطهم (البادن الكثير اللحم) وكان عليه السلام سواء البطن والصدر معتدل الخلق في السمن فبدن آخر عمره وكان مع ذلك لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس وهو ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله عليه السلام ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة. وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين. وكان عليه السلام فخما (العظيم في نفسه) مفخما (المعظم عند غيره) أقصر من المشذب (الظاهر الطول مع تحافة) وأزهر اللون وأنوار المتجرد (المتجرد عن الشعر أو الثوب) وأبيض مشرفا بياضه بحمرة مقصدا (المتوسط بين الطول والقصر) كأنها صبع من خضة.

## الشخصية

ويقول ﷺ : "جعل الخير كله في الربعة" وتقول أم معبد في بعض ما وصفت به "أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وكان ﷺ يقول: أنا أشبه الناس بآدم (ع) وكان أبي إبراهيم(ع) أشبه الناس بي خلقا وخلقاً".

وكان ﷺ إذا نظر في المرأة قال "الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي وزان مني ما شان من غيري.

### رأسه (ص) وما فيه من الأعضاء والأشعار

وكان ﷺ ضخماً الرأس، عظيم الهامة رجل الشعر، ان انفردت عقيقته (شعر الرأس) فرقها (ترجلها) والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه إذا هو وفره (جعله وفرة، وهي الشعر النازل عن شحمة الأذن إذا لم يصل إلى المنكبين) وكان ﷺ جعداً (من في شعره التواء) رجلاً (من في شعره تكسر قليل) لا بالجعد القطط (شديد الجعودة) ولا بالسبط (مسترسل الشعر) وكان ﷺ شديد سواد الشعر عظيم الجملة إلى شحمة أذنيه كان ﷺ أحسن الناس وجهاً كأن الشمس تجري في وجهه ليس بالمكثم (المدور الوجه) وكان في وجهه تدوير (أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل) وكان ﷺ إذا سر تبرق أسارير وجهه كأنه قطعة قمر كما قالت أم المؤمنين عائشة (ر) وكان وجهه ﷺ كأنه دائرة قمر فكأن وجهه مرآة وكان البدر يري في وجهه كما قال الصحابي الجليل أو الطفيل (ر) مثل الشمس والقمر وكان مستديراً كما قال جابر (ر) يتلألاً وجهه ﷺ تلاًلاً القمر ليلة البدر كما قال هالة بن أبي هالة (ر) لهو عندي أحسن من القمر كما قال جابر بن سمرة (ر) حين نظر إليه ﷺ وإلى القمر في ليلة مقمرة يا بني لو رأيته لرأيت الشمس طالعة كما قالت السيدة الربيع بنت معوذ(ر) رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه قسيماً وسيماً كما وصفته ﷺ أم معبد (ر).

وسأل رجل البراء بن العازب (ر): أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

ونعته عمه أبو طالب فقال أبيض يستسقى الغمام بوجهه - ثمال اليتامى عصمة الأرامل. وكان ﷺ إذا نظر وجهه في المرأة قال: الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين.

أما خده ﷺ فقد كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين (هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة) وسهلها وصلتها (وهو الأسيل).

وكان ﷺ عظيم العينين أدعجهما (شديد سوادهما) وأشكلهما (الشكلة العمرة تكون في بياض العين) وأكلهما (أسودا جفان العين خلقة) وكانت عيناه ﷺ نجلاوين (واسعتين) وفيهما تمزج من حمرة، أسود الحدقة، أحمر المآقي (جمع موق) أهدف الأشفار (طويل شعر الأجنان) حتى تكاد تلتبس من كثرتهما، أزج الحواجب (مقوسها مع طول) صوابغ في غير قرن (والمراد ان حاجبيه ﷺ قد سغل حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا أبلج الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة بينهما مرق بدره العضب أما جبينه الكريم فقد كان ﷺ واضح الجبين وهو معنى قول علي (ر) صلت الجبين وفي رواية واسع الجبين وفي رواية عظيم الجبهة وكله بمعنى واحد.

وكان ﷺ ألقى العرنين ودقيقه (طويل الأنف مع دقة ارنبته أى طرفه في وسطه بعض ارتفاع) له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم (مرتفع قسبة الأنف) وكان ﷺ ضليع الفم (واسعه وهو ممدوح لدلالته على الفصاحة) أشنب (أبيض الأسنان مع بريق وتحديد فيها) مفلج الأسنان (متبا عدما بين الأسنان) أفلج الثنيتين (براق الثنايا) إذا تكلم ريء (رئي) كالنور يخرج من بين ثناياه وكان ﷺ من أحسن عباد الله شفتين وأطفهم ختم فم.

#### صدره وبطنه ﷺ

كان رسول الله ﷺ سواء البطن والصدر عريض الصدر وأشعر أعاليه، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، دقيق المسربة (هي هذا الشعر الدقيق كأنه قضيب من الصدر إلى السرة)، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك (لم يكن على ثدييه وبطنه ﷺ شعر غير مسربته) تقول السيدة أم هانئ (ر) "ما رأيت بطن رسول الله ﷺ إذا ذكرت القراطيس المثنية بعضها على بعض.

#### عنقه وظهره ﷺ

كان ﷺ بعيد ما بين المنكبين إذا وضع رداءه عنهما فكأنه سبكة فضة. وكان ﷺ أحسن عباد الله عنقا لا ينسب إلى الطول فلا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه ابريق فضة مشرب ذهباً، يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب، أو كأنه عنقه جبد دمية في صفاء الفضة (الدمية صورة من الرخام ونحوه)

وكان ﷺ جليل الكتد (عظيم الكاهل وما يليه من جسده) وأشعر المنكبين واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها

## الشخصية

شعرات متواليات كأنها من عرف فرس. وكان خاتمه ﷺ بين كتفيه مثل زر الحجلة كما قال السائب بن يزيد (ر) أو غدة حمراء مثل بيضة الحمامة كما قال جابر بن سمرة (ر) أو بضعة ناشزة كما قال أبو سعيد الخدري (ر) أو مثل الجمع (مجموع الأصابع إلى باطن الكف) حولها خيلان (جمع خال وهو الشامة على الجسد) كأنها الثآليل (جمع ثؤلول وهو حب يعلو ظاهر الجسد) كما قال عبد الله بن سرجس (ر) أو شعر مجتمع كما قال أبو زيد عمرو بن أخطب (ر) أو كأنه ركة عنز (العنز شيء شبيه العكاز وركبته أعلاه) كما قال عباد بن عمرو (ر).

### يده ﷺ المباركة

كان رسول الله ﷺ ششن الكفين ضخهما ربح الراحة طويل الزندين أشعر الذراعين وشبههما (عريضهما ممتد هما) وعلهما (ضخهما) وعل العضدين، سائل الأطراف كأن أصابعه قصبان الفضة وكان كفه ﷺ اللين من الحرير وكانت رائحته كرائحة كف العطار، مسها ﷺ بطيب أم لم يمسه، وكان يصافح الرجل فيظل يومه يجدر ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه ويقول أنس خادم رسول الله ﷺ "ما مست ديباجا ولا حريرا لين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول جابر بن سمرة (ر): إن رسول الله ﷺ مسح خده، قال: فوجدت ليده لرداؤ ريجا كأنه أخرجها من جؤنة عطار (شبه صندوق صغير مغشى يجلد يضع العطار فيها عطره).

### رجله ﷺ الميمونة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ششن القدمين (ضخهما) ومسيحهما ينيو عنهما الماء منهوس العقبين (قليل لحمهما) خمسان الأخصمين (ضامرهما) إذا وطئ بكلها ليس له أخصم عبل الفخذين وكان في ساقبه حموشة (الدقة، وهي محمودة في الساقين) ويقول عبد الله بن بريدة (ر): كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قدما وتقول ميمونة بنت كردم (ر): رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدمه الشبابية على سائر أصابعه.

### مشيته صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكأ تكفؤا (الميل إلى سنن المشي وهو ما بين يديه كالسفينة في جريها) كأنما ينحط من صبيب (المكان المنحدر من الأرض) وزال قلعا (رفع رجليه بقوة) وكان ﷺ ذريع المشية (واسع الخطو خلقة لا تكلفا) ويمشي الهويينا بغير بتبختر (الهويينا



تقارب الخط) ويمشى مجتمعا (قوي الأعضاء، غير مسترخ في المشي) كأنما يتوكأ (يسعى سعيا شديدا) يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان حتى يعرول الرجل في مشيه وراه فلا يدركه ويقول أبو هريرة (ر): "وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، انا لنجهد أنفسنا، وأنه لغير مكترث (غير متكلف).

وكان ﷺ يمشي حافيا وناعلا ولا يلتفت وراءه إذا مشى، وكان ربما تعلق رداءه بالشجر فلا يلتفت حتى يرفعه عليه. وكان ﷺ إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة وإذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل.

### جلسته ﷺ

كان أكثر جلوسه ﷺ أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما وفي القرفصاء تقول قبيلة بنت مغرمة (ر) أمها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة ارعدت من الفرق (الخوف).

ورأى أبو داود بسند صحيح ان رسول الله ﷺ كان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء.

وعن جابر بن سمرة (ر) قال: رأيت رسول الله ﷺ متكئا على وسادة على يساره وتقول عائشة (ر): كان ﷺ لا يأكل متكئا ويقول آكل كما يأكل العيد واجلس كما يجلس العيد وانه ﷺ كان لا يجلس في بيت مظلم إلا أن يسرج له فيه سراج. وما رنى ﷺ قط ماداً رجليه يضيق بها على أصحابه إلا أن يكون المكان واسعا وكان أكثر جلوسه ﷺ إلى القبلة.

### نظر بصره ﷺ

يصفه الله تبارك وتعالى بقوله: ما زاغ البصر وما طغى. كان ﷺ إذا التفت التفت جميعا وكان فض الطرف (إذا لم ينظر إلى شيء يخفض بصره) نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة (النظر باللحاظ وهو شق العين مما يلي الصدغ والمراد انه لم يكن نظره إلى الأشياء نظر أهل الحرص والشره).

وثبت في الصحيح ان رسول الله ﷺ كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وكان يرى من خلق كما يرى من امام.

### صوته ﷺ

كان ﷺ كثير السكوت طويل الصمت ولا يتكلم في غير حاجة ويعرض عن تكلم بغير جميل يعيد الكلام مرتين أو ثلاثا ليفهم.

وكان صوته ﷺ يبلغ حيث لا يبلغ صوت غيره فعن البراء (ر) قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن (خصهن بالذكر لبعدهن واحتجابهن في البيوت فسماعهن آية علو صوته)

تقول عائشة (ر): جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر، فقال للناس "اجلسوا" فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني غنم فجلس في مكانه خطب رسول الله ﷺ يميني، ففتح الله أسمعنا، حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا - قاله عبد الرحمن لن معاذ الشمي(ر).

وتقول أم هانئ(ر): كنا نسمع قراءة النبي ﷺ في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي.

### سروره وضحكه ﷺ

كان ﷺ إذا سر استنار وجهه كأنه القصر أو كأن وجهه المرأة، وكان الجدير شخصها فيه. وكان جل ضحكه ﷺ التسم يقول عبد الله بن الحارث(ر): ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ وتقول أم المؤمنين عائشة (ر): ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته.

لكن ورد في أحاديث كثيرة انه ﷺ ضحك حتى بدت نواجده. وهذا أبو ذر(ر) يقول: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجده. يقول ذلك أبو ذر(ر) بعدما حكى عنه ﷺ قصة رجل يكون آخر أهل النار خروجا. وهذه القصة وضحكه ﷺ مروية أيضا من ابن مسعود (ر).

ويروى عن سعد بن أبي وقاص(ر) انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ضحك كل يوم الفندق حتى بدت نواجده وكان ذلك لما كان سعد (ر) لا يخطئ رمية حتى لم يخطئ في الخندق من رجل غطى جبهته بالترس.

وكان (ص) إذا افتقر ضاحكا (أبدى أسنانه ضاحكا) افتقر عن مثل سنا البرق إذا تلاً، وعن مثل حب الغمام. وكان صلى الله عليه وسلم إذا جرى به الضحك وضع يده على فيه.

## بكاءه صلى الله عليه وسلم

يكون بكاءه ﷺ بلا رفع صوت ولا شهيق ولكن تدمع عيناه أو يسمع لصدره ازيز يقول أنس خادم رسول الله ﷺ: شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ ورسول الله جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان.

وعن أنس (ر) أيضا أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عيننا رسول الله ﷺ تذر فان فقال له عبد الرحمن بن عوف (ر): وأنت يا رسول الله؟ فقال ﷺ: يا ابن عوف انها رحمة ثم اتبعها بأخرى، فقال: ان العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا يفرأقك يا إبراهيم لمحزونون. وعن عبد الله بن مسعود (ر) قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى بلغت: (وجننا بك على هؤلاء شهيدا) قال: فرأيت عيني رسول الله ﷺ تهملان (تسيل دمعهما).

وعن عبد الله بن الشخير (ر) قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يصلى، ولجوفه ازيز كأزيز المرجل من البكاء.

## غضبه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا وكان يغضب لربه عزوجل ولا يغضب لنفسه. وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضب يرى غضبه في وجهه واحمرت وجنتاه وإذا غضب وهو قائم جلس، وإذا غضب وهو جالس اضطجع، فيذهب غضبه، يروى ذلك عن ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما وعن أبي مسعود البدرى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال اني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا! فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ.

وتقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فما رآه رسول الله هتكه وتلون وجهه.

## حياءه صلى الله عليه وسلم

قال العلماء: حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القميح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق – النووي (ر) في رياض الصالحين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس

## الشخصية

حياء فعن أبي سعيد الخدرى (ر) قال "كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه- متفق عليه.

روى أبو داود والترمذي (ر) وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بوجهه شيء يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة، فلما قام قال لأصحابه: ولو أمرتم هذا أن يعسل هذه الصفرة.

ومن حياته صلى الله عليه وسلم أنه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه صلى الله عليه وسلم إذا أراد الحاجة ابعده ولم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض وأنه صلى الله عليه وسلم استحيا أن يقول لقوم أطالوا الجلوس عنده صلى الله عليه وسلم بعد الأكل "انصرفوا" حتى نزلت آية الحجرات في ذلك "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يأذن لكم ..... " إلى قوله تعالى "ان ذلكم لكان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق" وكان ذلك عند زفافه صلى الله عليه وسلم بزینب رضي الله عنها.

## عظاسه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يكره رفع الصوت بالعطاس ويكره العطسة الشديدة في المسجد وإذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض بها صوته وحمد الله تعالى فيقال له يرحمك الله فيقول: "يهديكم الله ويصلح بالكم".

## قوته صلى الله عليه وسلم البدنية وشجاعته صلى الله عليه وسلم

وقد كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم في قوته البدنية وأوصاف الرجولية والشجاعة. ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم صرع ركانة رضي الله عنه ثلاث مرات وركانة هذا كان رجلا بمكة شديد القوم يحسن الصراع وكان الناس يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم - رواه ابن اسحاق وغيره.

وقد صارع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة غير ركانة رضي الله عنه منهم أبو الأسود الجمعي وكان من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه، فيتقرى الجلد ولم يتزحزح عنه.

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جعل الصخرة التي ظهرت في الخندق كثيبا مهيبا ضرب عليها بثلاث ضربات بالمعول مع الصحابة رضي الله عنهم عجزوا عن إزالتها وتكسرت فيها معاولهم ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم معصوب البطن من الجوع ومضى عليه

ثلاثة أيام لم يذق طعاما – رواه البخاري رضي الله عنه وغيره عن سيدنا جابر رضي الله عنه.

وروى عن مجاهد رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم اعطى قوة يضع وأربعين رجلا من أهل الجنة (وان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مئة في الأكل والشرب والجماع والشهوة – كما روى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه مرفوعا).

ويقول أنس رضي الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار؛ وهن إحدى عشرة.

وعن أنس رضي الله عنه أيضا: ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الناس بأربع فذكر فيه صلى الله عليه وسلم الشجاعة وسئل علي رضي الله عنه عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال: كان أشدنا بأسا.

#### اعتنائه صلى الله عليه وسلم ببدنه الشريف

وكان صلى الله عليه وسلم أشد عناية بجسده الطاهر ويظهر ذلك مما قاله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص رضي الله عنه "فلا تفعل: صم واخطر، وتم وقم فإن لجسدك عليك حقا وان لعينك عليك حقا .... الحديث. قال ذلك صلى الله عليه وسلم حينما أخبر صلى الله عليه وسلم انه رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل – رواه الشيخان أو أحدهما. ونجمل بالتالي بعض ما ورد في ذلك:-

#### النوم:

كان صلى الله عليه وسلم ينام أول الليل، ويستيقظ في أول النصف الثاني، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه منه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج منه، وكان ينام على جنبه الأيمن، ذكر الله تعالى حتى تغلبه عيناه، غير ممتلئ البطن من الطعام والشراب. وكان صلى الله عليه وسلم ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة. وكان فراشه صلى الله عليه وسلم ادما حشوه ليف، وكان له مسح (فراش خش عليظ) ينام عليه (وسائل الوصول حكاية عن المواهب).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عرس بليل اضطجع على شقه الأيمن، وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفيه (عرس: نزل

في السفر آخر الليل) وعن حفصة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك ثلاث مرات. وكان صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل قال: باسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي واخني شيطاني وفك رهائي وثقل ميزاني واجعلني في الندي الأعلى رواه أبو الأزهر الأنصاري وعن البراء رضي الله عنه "باسمك اللهم أحيا، وباسمك أموت". وعن عائشة رضي الله عنها "اللهم اني أعوذ بك من الشر ولو عا. ومن الجوع ضجيعا" وعن أنس رضي الله عنه "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي" وعن ابن عمر رضي الله عنهما: باسمك ربي فاغفر لي ذنبي" وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفت فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما أقبل من أخذ مضجعه قرأ قل يا أيها الكافرون حتى يخرجهما وورد أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى تقرأ بني اسرائيل والزمزم والم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك وكان صلى الله عليه وسلم إذا تضور (تلوى وتقلب في فراشه) من الليل قال: "لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: انه صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ قال "الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور".

وكان صلى الله عليه وسلم إذا تعار (هب من نومه واستيقظ) من الليل قال: رب اغفر وارحم واهد للسبيل الأقوم".

وكان صلى الله عليه وسلم لا ينام إلا والسواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة.

وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلي.

### الأكل والشرب

وكان أكثر طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم التمر والماء كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولكن لا يتورع من مطعم حلال، إن وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد لحما

مشوياً أكله وان وجد خبز بر اكله أو شعير اكله وان وجد حلوى أو عسلاً أكله وان وجد لبناً دون خبز أكله وإن وجد بطيخ أو رطباً أكله يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد.

ومما ورد من مطعماته صلى الله عليه وسلم أيضاً لحم الدباج والحبارى والشاة والجمل وحمار الوحش والأرنب وداوآب الحر ومن البقول الدباء والسلق والبصل والهندباء والتمر (بقلة حلوة يأكل ورقه وسوقه نيأً) والرجلة (البقلة الحمقاء التي تنبت على الطريق وفي مسيل الماء) والقثاء ومن الفواكه الرطب والتمر والبسر والبطيخ والخريز (البطيخ الأصفر) والعنب والكبأث (ثمر الأراك) ومن الحبوب الحنطة والشعير ومن الصبأغ الخل والفلفل والتوابل ومن الأدهان الزيت ومن منتجات اللبن الزبد والسمن والجبن والأقط (جبن اللبن المستخرج زيده) من المخلوطات الثريد (الخبز المثرود بمرق اللحم) والفالودج (مخلوط بدقيق الحنطة والسمن والعسل) والخزيرة (صغار قطع اللحم الممزوج بالدقيق) والحيس (التمر مع السمن والأقط).

وكان صلى الله عليه وسلم يحب من الشاة الدراع والكتف ومن المطبوخ في القدر الدباء ومن التمر العجوة وكان يعجبه الثفل (ما بقي من الطعام في أسافل القدر والقصعة ونحوهما).

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل الجراد ولا الكليتين ومن الشاة الذكر والانتيين والحيا (الفرج) والدم والمثانة والمرارة والغدد والكان صلى الله عليه وسلم يعاف الضب والطحال ولا يأكل الثوم والبصل ولا الكراث من أجل الملائكة ولكن آخر طعام أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بصل كما قالت عائشة رضي الله عنها (والظاهر ان هذا البصل كان مطبوخاً حتى لم يبق له رائحة كريهة).

وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يأكل الطعام الحار حتى تذهب فورة دخانه وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن قط بأصبعين وكان صلى الله عليه وسلم يلعق الصفحة بأصابعه ويلعق الأصابع حتى تحمر.

وكان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم للأكل أن يجمع بين ركبتيه وبين قدميه إلا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ولا يأكل متكئاً.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا وضعت المائدة قال "باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة" وإذا قرب إليه طعام يقول: باسم الله، وإذا فرغ قال: "اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت واقتنيت وهديت واجتبتيت فلك الحمد على ما أعطيت وإذا رفعت المائدة قال: "الحمد

## الشخصية

لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد الذي كفانا وأوانا غير مكفي ولا مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا (تنوعت الروايات في أذكاره صلى الله عليه وسلم قيل الأكل وبعده فلينظر في محالها).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام أكل مما يليه وإذا أتى بالتمر جالت يده فيه.

## النظافة

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بنظافة بدنه فقد كان يغتسل ويحافظ على غسل يديه قبل الطعام وبعده ويحرص على استعمال السواك في كل أحواله ويحافظ على تعهد أطراف بدنه بالنظافة وإزالة الأوساخ عنها من قص ساربه واطافره وبتف ابطه وحلق عانته وغير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم دائم الوضوء.

وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد. وعن الفاكه بن سعد رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقى الختانان اغتسل انزل أم لا وعن رضي الله عنها أيضا: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يحرم غسل رأسه يخطمي واثنان ودهنه بشيء من زيت غير كثير.

وعنها رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل مقعده ثلاثا.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اعتسل فتح عينيه وادخل أصبعيه في سرتة وعن أبي أيوب رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا توضأ استنشق ثلاثا وتمضمض وادخل أصبعيه في فمه. وعن عبد الله بن بشر رضي الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يطر شاربه طرا (يطر - يقص). وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: كان صلى الله عليه وسلم يستاك من الليل مرارا.

## الترجل والدهن والخضاب

تقول عائشة رضي الله عنها: كنت رجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض ويقول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنز دهن رأسه ونستريح لحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات (القناع خرقة توضع على الرأس حين استعمال الدهن لنقي العماسة يمنه) وعن أم عياش رضي الله عنه انه كان صلى الله عليه وسلم يعفى



شاربه وعن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دهن لحيته بدأ بالعنفقة وكان لا يفارق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ومشطه وكان ينظر في المرأة إذا سرح لحيته.

وسئل جابر بن سمرة رضي الله عنه عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان إذا دهن رأسه لم ير منه شيب. وإذا لم يدهن رئي منه شيء.

وسئل أبو هريرة رضي الله عنه هل خصب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم وأخرجت عائشة شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر مصبوغ.

وعن سلمة امرأة رافع رضي الله عنه: كان صلى الله عليه وسلم لا يصيبه قرحة ولا نكبة الا ان امرتي ان أضع عليها الحناء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام بالأثمد ثلاثة في كل عين وعن عائشة رضي الله عنها: انه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتحم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة وعن أبي رافع رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يكتحل بالأثمد وهو صائم.

#### التطيب

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكة تطيب منها (السكة وعاء الطيب) وعن ابن عمر رضي الله عنه: كان النبي يستجمر بالألوة غير مطراة وبكافور يطرحه مع الألوة (المطراة التي يعمل عليها ألوان الطيب كغير ومسك وكافور). وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته ويقول أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب وكان أحب الرياحين إليه (ص) الفاغية (زهر الحناء).

#### اللباس

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجده فيليبس في الغالب الشملة، والكساء الخشن والبرد الغليظ وكان لا يتباهي في الملابس ولا يتزين بها لأنها ليست من خصال الشرف والجلالة. يقول القسطلاني في المواهب وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن وأخف عليه فإنه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤدي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد وكذلك الأردية والازر أخف على البدن من غيرها، ولم يكن صلى الله عليه وسلم يطول أكمامه ويوسعها.

## الشخصية

وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القميص وكان كمه إلى الرسخ. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الحبرة (يرد يمانى مزين) وكان له صلى الله عليه وسلم بردان أخضران فيهما خطوط خضر لا بحتا (لم يكن أخضر خالصا) وكان يعجب الثياب الخضر. وكان قيمة ثوبه صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم ولم يتخذ قميصين ولا رداءين ولا ازارين. وكانت ثيابه صلى الله عليه وسلم مشمرة فوق الكعبيين وكان ازاره إلى نصف الساق وكان قميصه مشدود الأزار وربما حل الأزار في الصلاة وغيرها.

وكان رداءه صلى الله عليه وسلم طوله ستة اذرع في ثلاثة وشبر وكان ازاره أربعة وشبرا في عرض ذراعين وشبر.

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس تحت العمام وبغير العمام ويلبس العمام بغير القلانس وإذا عتم مبدل عمامته بين كتفيه.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبا سماه باسمه ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صنع له واعدوك بك من شره وشر ما صنع له. وكان صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليه الوفد لبس أحسن ثيابه وكان له صلى الله عليه وسلم ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وكان له يرد يلبسه في العيدين والجمعة مما ورد من ثيابه صلى الله عليه وسلم حلة حمراء وملاءة مصبوغة بالزعفران (الملاءة ثوب لم يضم بعضه إلى بعض بخيط بل كله تسبح واحد) وثوب قطري (نوع من البرود اليمانية تتخذ من قطن وفيه حمرة وأعلام مع خشونة) ومرط من شعر أسود (المرط كساء طويل) وجبة رومية ضيقة الكمين وحبّة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوف بالديباج (اللبنة رقعة في جيب القميص والفرج الشتى في أسفل الثوب من خلق وإمام) وشملة (كساء صغير يؤتز ربه) وكساء ملبد (مرفع) وسراويل وبردة ملحاء (بردة سوداء فيها بطوط بيض يلبسها الأعراب) وقلنسوة بيضاء وعمامة تسمى السحاب وعمامة سوداء ومنديل.

## الفراش

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوهما وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (الأدم الجلد المدبوغ) وفراش قطيفة مثنية (دثار له هدب) كما افهمت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وسئلت حفصة رضي الله عنها عن فراشه صلى الله عليه وسلم فقالت: مسح يثني ثنتين (المسح كساء خش من صوف) وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينام على الحصير وحده ليس تحته شيء غير فيأثر في جنبه.

وكان له صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردي وعليه كساء أسود حشي بالبردي (مرمل - منسوج، البردي - نبات). وتغطي له صلى الله عليه وسلم بالحاف وكانت وسادته من ادم حشوه ليف.

### التنعل

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبئية التي لا شعر عليها وكانت نعله صلى الله عليه وسلم مخرصة (التي لها خصر دقيق) معقبة (التي لها سير من جلد في مؤخر النعل) ملسة (التي في مقدمها طول على هيئة اللسان) وكان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالة منى شراكهما (القبال زمام يوضع بين الأصبع الوسطى والتي تليها وسمى شسعا اشراك السير).

واهدى له صلى الله عليه وسلم النجاشي خفين أسود بن ساذجين (لم يخالط سوادهما شيء) وكان صلى الله عليه وسلم إذا جلس يتحدث يخلع نعليه.

### الخاتم

كان خاتمه صلى الله عليه وسلم من ورق وكان فصه حسيا (خرزا فيه بياض وبسواد أو عميقا) وكان صلى الله عليه وسلم يلبس خاتمه في يمينه وورد أيضا انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليسار وكان نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم (محمد) سطر و(رسول) سطر و(الله) سطر.